الشيخ الإمام داعية الإسلام

محمد متولي الشعراوي

علامات القيامة الصغرى

نال شرف إعداده ومراجعته

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة



مكتبة التراث الإسلامي

الشيخ الإمام داعية الإسلام

محمد متولي الشعراوي

علامات القيامة الصغرى

نال شرف إعداده ومراجعته

مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة

مكتبة التراث الإسلامي

الطبعة الثانية

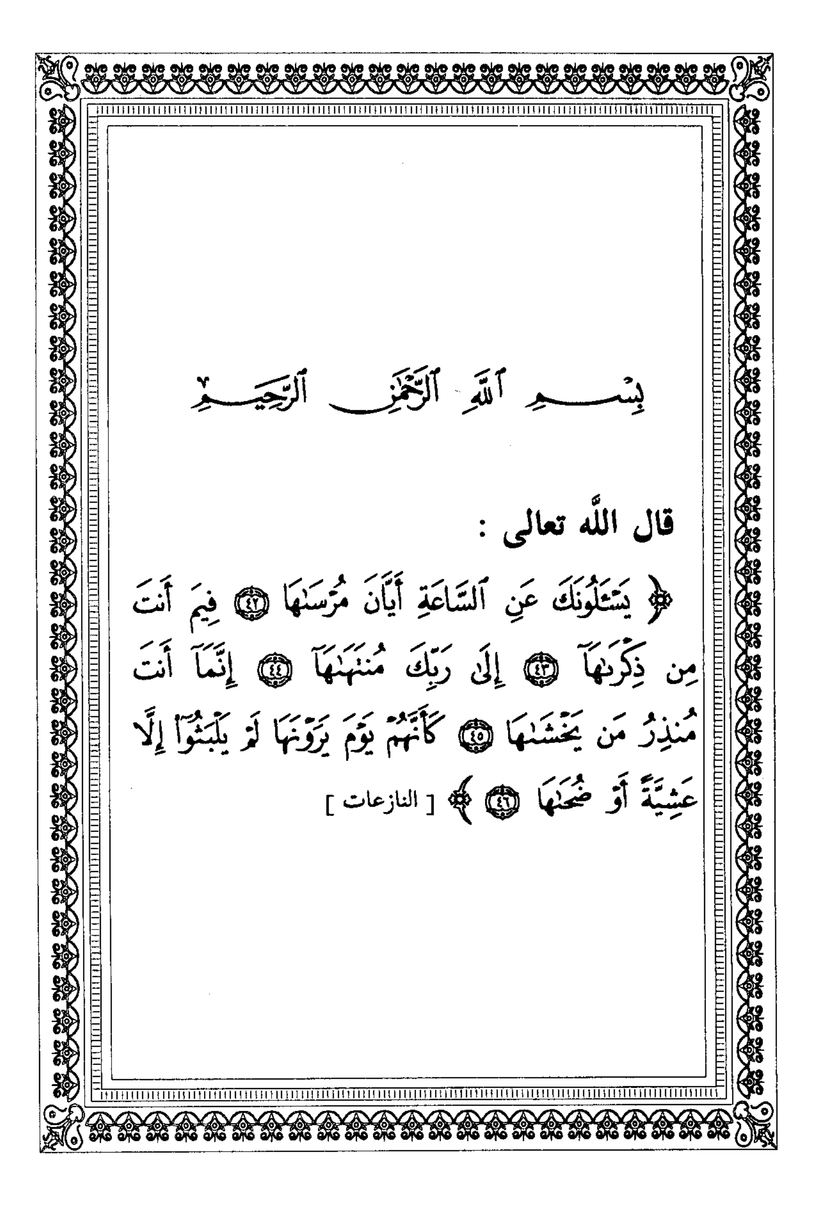
ربيع أول ١٤٢٢
يونيه ٢٠٠١



مكتبة التراث الإسلامي
8 شارع الجمهورية عابدين القاهرة

Email: abdallahaggag@hotmail.com

3913406:فاكس 3925677 - 3911397 :ت Islamic Turath Book Shop



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، خاتم الأنبياء والمرسلين .

أما بعد .. فإن للقيامة علامات أنبأنا عنها رسول الله ﷺ ، وقد تحقق الكثير منها .

وبعض الناس هنا يتساءل : إذا كان موعد الساعة لا يعرفه أحد ، فلماذا تحدَّث رسول الله ﷺ عن علامات اقتراب الساعة ؟!

نقول : إن هذه الأحاديث لرسول الله ﷺ لا تعطينا موعد الساعة على التحديد ، فإنها لا تقول لنا : إنه إذا تحقق كذا وكذا فانتظر الساعة بعد مائة عام أو ألف عام ، ولكنها تذكرة لأولئك الذين سيعم الفساد بينهم ، كلما اقترب موعد الساعة ، تذكرة لهم تطالبهم بأن يتنبهوا جيدًا إلى أن ما يحدث فى الكون هو من قدرة الله سبحانه وتعالى وامتداد لرسالة رسول الله ﷺ ، حتى إذا قرأناها ورأيناها قد تحققت نقول : صدق رسول الله ﷺ ونتذكر المنهج الذى بعث الله به رسوله ﷺ فنسارع باتباع المنهج ، وتكون علامات الساعة هذه تذكرة لنا بصدق الرسالة التى بُعث بها الرسول الكريم ﷺ ،

وتكون المعجزات المستمرة لرسول الله ﷺ كلما تحققت نبوءة لرسول الله ﷺ كانت بمثابة معجزة جديدة لنا تثبتنا على الإيمان ، كما ثَبَّتَت المعجزات التى حدثت فى عهد الرسول ﷺ لصحابته رضوان الله تعالى عليهم على الإيمان ، فكأن رسالة رسول الله ﷺ متجددة بأشياء رأوها تحدث الآن ، وأشياء رأوها ستحدث فى المستقبل ، وكلما حدث شىء قلنا : هذا حق ، ورسول الله حق ، وكأن هذه لفتة إيمانية تعيد الناس إلى المنهج الذى نسوه وتركوه بمرور الزمن .

إذن .. فعلامات القيامة فيها تثبيت للإيمان ، وفيها إعجاز ليفيق الناس الذين غفلوا عن منهج الله [1] ، ولكن ليس فيها ما

---

(١) ومما ينبغى التنبيه عليه أيضًا أن بعض الناس يفهم من كون الشىء من أشراط الساعة أنه محذور وممنوع وهذه القاعدة غير مسلمة ، فإنه ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرمًا أو مذمومًا ، فإن تطاول الرعاء فى البنيان ، وفشو المال ، وكون خمسين امرأة لهن قيم واحد ليس بحرام بلاشك ، وإنما هذه علامات ؛ والعلامة لا يشترط فيها شىء من ذلك بل تكون بالخير والشر ، والمباح والمحرم ، والواجب وغيره . والله تعالى أعلم .

شرح النووى على مسلم [١/١٥٩] .

يمكن منه أن نحدد موعد يوم القيامة ، ربما يكون الموعد قريبًا ، ولكن القريب عند اللَّه ليس بالدرجة أن يكون قريبًا عندنا ، فالمقاييس مختلفة والقوانين مختلفة ، والتشابه فى الأسماء لا يعنى التطابق فى كل شىء ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾ [المعارج] .

إذن .. فالقرب والبعد عند اللَّه مختلف عن مفهومنا ، الساعة قريبة نعم ، ولكن كم عدد سنوات هذا القرب ؟ لا أحد يدرى [1] !

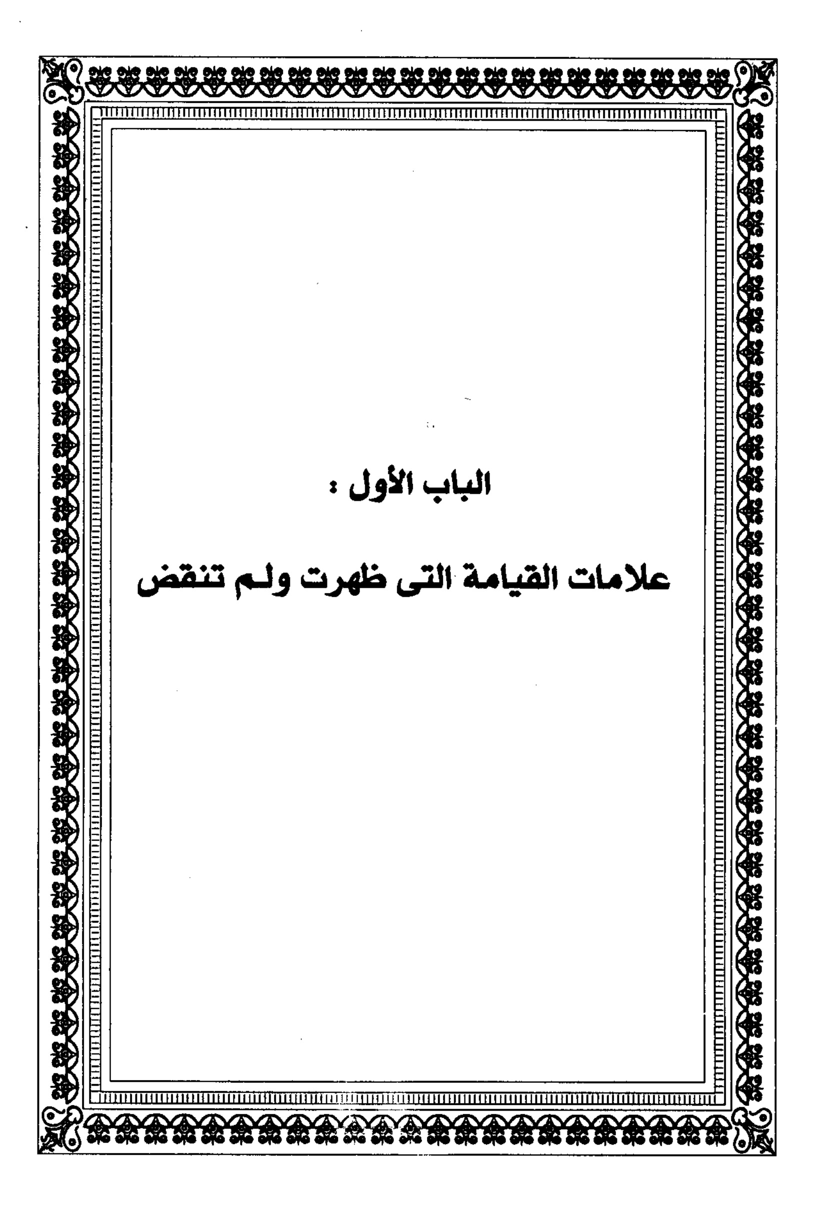
---

(١) أخرج البخارى [٤٧٧٧] عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : إن جبريل قال للنبى ﷺ : يا رسول اللَّه ! متى الساعة ؟

قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت المرأة ربتها فذاك من أشراطها ؛ وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس ؛ فذاك من أشراطها ؛ فى خمس لا يعلمهن إلا اللَّه ، ثم تلى ﷺ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ .

[لقمان : ٣٤] .

وأخرجه مسلم [١/٨] عن عمر بن الخطاب رضى اللَّه تعالى عنه .



الباب الأول :

علامات القيامة التى ظهرت ولـم تنقض

الشح المطاع

علامات القيامة التى تحققت فى ملخصها ، أو إذا أردنا أن نضعها فى إطار عام ، هى اختلال الموازين وانقلاب المبادىء ، ففى هذا الكون موازين أخلاقية كان من المفروض أن تحكم الحياة بين الناس ، وكانت هى الطريق السوى الذى لا بد أن يسير على هداها البشر فى هذا الكون ، هذه الموازين والقيم الأخلاقية التى كانت سائدة يأتى عليها وقت تختل وتهتز وتنقلب ، فيصبح ما هو مستنكر واقعًا ، وما هو واقع وحقيقة مستنكرًا .

ومن هذه العلامات : الشح [1] ، والشح يعنى : أن كل

(١) روى الطبرانى فى الأوسط [١/٤٢٠/٧٥٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه رفعه : « إن من أشراط الساعة أن يظهر الشح والفحش ، ويؤتمن الخائن ، ويخون الأمين ... » الحديث .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٧/٣٢٧] رواه الطبرانى فى الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، غير محمد بن الحارث بن سفيان وهو ثقة » .

وأخرج البخارى [٧٠٦١] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يتقارب الزمان ، وينقص العمل ويلقى الشح » .

وعن معاوية رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :=

إنسان لا يعطى ما عنده ، بل يبخل به ، وليس الشح هنا شح المال ، ولكنه شح فى كل شىء ، الصانع لا يعطى صنعته كل علمه وإتقانه ، والاستاذ لا يعطى تلاميذه كل ما يعلم بل يعطيهم على قدر الأجر ، فجزء فى المدرسة وجزء فى الدرس الخصوصى ، ويبخل الناس بمالهم فلا ينفقونه فى سبيل اللّه ، ولا يعطونه للفقير والمحتاج ، ويبخل العامل بعمله فتجد أنه قادر على أن ينتج ولكنه لا ينتج ، فهناك بخل من كل ذى قدرة بقدرته ، وبخل من كل ذى علم بعلمه ، وبخل من كل ذى جاه بجاهه ، عندئذ تنحدر الإنسانية إلى أسفل السافلين ، لأن كل جيل سيأخذ من علم الجيل الذى قبله القشور ، وبهذا تضمحل الحضارات جيلًا بعد جيل ، هذا هو : الشح المطاع ، ولعلنا نشهده الآن فى الدنيا كلها ، إن كل جيل هو أقل عطاء من

= « لا يزداد الأمر إلا شدة ولا يزداد الناس إلا شحًا » . ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٤/٨] وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح . وأخرج مسلم [٢٥٧٨/٥٦] عن جابر بن عبد اللّه رضى اللّه تعالى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » .

الجيل الذى قبله ، ويقل العطاء كلما مضت الأيام ، وهكذا نجد فى كل أوجه الحياة شحًا مطاعًا ينبئنا عن بداية انحدار الإنسانية إلى الهاوية ، بينما المجتمعات التى سبقت كانت قائمة على العطاء بلا حدود ، حتى إن الأنصار عرضوا على المهاجرين أن يتنازلوا لهم عن نصف أموالهم بلا مقابل ، بل بلغ الإيثار مداه فى أن من له زوجين عرض التنازل عن إحداهما لأخيه (١) .

○ ○ ○

---

(١) أخرج البخارى [٣٧٨١] عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد : قد عَلِمَت الأنصار أنى من أكثرها مالًا ، سأقسم مالى بينى وبينك شَطْرَين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأُطلِّقُها حتى إذا حَلَّتْ تزوجتَها . فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك . فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئًا من سَمنٍ وأَقِط ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء رسول الله ﷺ وعليه وَضَرٌ من صُفْرة . فقال له رسول الله ﷺ : « مَهْيَم ؟ » قال : تزوجتُ امرأةً من الأنصار ، فقال : « ما سُقتَ فيها ؟ » قال : وَزنَ نَواة من ذَهب - أو نواةً من ذهب - فقال : « أولِمْ ولو بشاة » .

إعجاب كل ذى رأى برأيه

ومن علامات القيامة ضياع الحق ، وهو معنى قول رسول الله ﷺ : « وإعجاب كل ذى رأى برأيه »[1] ، وإعجاب الناس بآرائهم هو بداية الخروج من الحق إلى هوى النفس ، وكل واحد يقول : هذا رأيى ولا بد أن يُتبع ، ويحاول بشتى الطرق أن يزين هذا الرأى ، ولو بالباطل ، وأن يجمع الأدلة عليه ولو كذبًا ، فإذا رأى الحق فى غير جانبه لم يرجع إليه ، على الرغم من أن الرجوع إلى الحق فضيلة ، ويرفض أن يُهزم ، أو يؤخذ بغير رأيه ، فكأن الناس قد وضعوا أنفسهم فوق الحق ، بينما الحق هو الذى كان يجب أن يسود الجميع ، وأن يخضع له الناس .

ولكن هاهم الناس كلهم يتفننون فى الخداع ، وكل صاحب رأى يحاول أن يحقق غايته بأى طريق ولو بالضلال ، وهكذا يختل ميزان الدنيا لأنه قائم على الحق ، ويصبح الحق ضائعًا لا صاحب له ، لأن كل صاحب رأى معتز برأيه ، بصرف النظر

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذى [٣٠٥٨] وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٥٨٥] .

عن الحق ، وهذا ما نجده الآن فى الدنيا ، فالناس تحاول أن تفعل أشياء وتخلد أسماءها ، أو ليقال إنها فعلت دون أن يسأل الإنسان نفسه أين الحق وأين الباطل من كل ما يجرى ؟

○ ○ ○

إسناد الأمر إلى غير أهله

نأتي بعد ذلك إلى علامة أخرى من علامات اختلال الميزان ، وهي : إسناد الأمر إلى غير أهله [1] ، والدنيا كلها قامت على ذلك ، والحياة كلها لن تتقدم إلا إذا أعطى الأمر لأهله ، فتعطى قضايا العلم للعلماء ، وتعطى قضايا الاختراعات

---

(١) أخرج البخارى [٦٤٩٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظر الساعة » . قال : كيفَ إضاعَتُها يا رسول الله ؟ قال : « إذا أُسْنِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة » .

قال الحافظ فى الفتح : إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم ، وذلك من جملة الأشراط ومقتضاه أن العلم ما دام قائمًا ففى الأمر فسحة .

وقال أيضًا : المراد من الأمر جنس الأمور التى تتعلق بالدين كالخلافة ، والإمارة ، والقضاء ، والإفتاء ، وغير ذلك .

قال ابن بطال : معنى : « أُسند الأمر إلى غير أهله » : أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم فينبغى لهم تولية أهل الدين ، فإذا قلدوا غير أهل الدين ؛ فقد ضيعوا الأمانة التى قلدهم الله تعالى إياها .

فتح البارى [١٣/١٣٤] .

للباحثين والمخترعين ، ويعطى القضاء لمن هم قد درسوا قوانين الله وشرعه ، ولكن العقل البشرى عند اقتراب الساعة لا يعطى الشىء لأهله .

فإذا بدأنا بالقضية الكبرى ، وهى قضية خلق الحياة والكون ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى خلق ، وهو الذى أخبرنا بأنه خلق ، ومع ذلك يأتى بعض الناس ليقولوا : إن الكون خلق بالصدفة ، وأن هناك تفاعلات كذا وكذا هى التى فعلت كذا ، ونجد نظرية فاسدة تزعم : إن الإنسان أصله قرد ، مع أن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الإنسان ، وأخبرنا كيف خلقه ، والعجيب أن هذا الرجل وجد له من يناصره ويسير فى هواه !!

وهل فى هذه القضية الكونية الكبرى ينسب الشىء لغير أهله ، ويفترى الناس على الله ويغرُّهم ما كشف الله لهم من قوانين وأسرار فى الكون ، فيظنون أنهم قد أوجدوا هذه القوانين ، وأنهم قد صنعوها بقدرتهم ، وإنها تتصرف وفقًا لإرادتهم ، عندئذ تختل الموازين ، ويعبد الإنسان نفسه ، فتأتى إرادة الله سبحانه وتعالى لتزيل هذا الزيف كله ، ويُدعى الناس للحساب أمام الله ، فيرون أنهم كانوا عجزة لا يقدرون على

شىء ، وكانوا عبيدًا لا يملكون شيئًا ، ولكن اللّٰه هو الذى أعطاهم بقدرته ، ومنحهم بفضله ، فإذا بهم يقابلون ذلك بالكفر بدلًا من الشكر !

هذا هو المعنى الواسع لأن يسند الأمر لغير أهله .

وكلما مر الزمن شهدنا ذلك يبرز على الساحة فى العالم ، فنجد من يقول : انتهى عصر الدين وبدأ عصر العلم ، كأنما الدين والعلم متعاندان ، بينما الدين هو دين اللّٰه ، والعلم هو من عند اللّٰه ، وكلاهما مثبت للإيمان ، ونرى العالم كلما تقدمنا فى الزمن يحسب أنه قد استطاع أن يسيطر على الأرض بالعلم ، ويخضعها لإرادته ، ويتحكم فيها ، بينما العلم لم يخلق شيئًا ، وإنما استخدام المادة التى خلقها اللّٰه والعقل المسخر له من اللّٰه فى استخدام ما شاء اللّٰه من أسرار هذا الكون .

فالذى اخترع الصاروخ - مثلًا - جاء بالمواد التى خلقها اللّٰه وأوجدها فى الأرض ليصنع منها جسد الصاروخ ، فهو لم يخلق المادة التى صنع منها جسم الصاروخ ، وإنما جاء بها من المناجم التى أوجدها اللّٰه فى الأرض . قد يكون قد طورها

وقواها بمواد أخرى ، ولكنها كلها جاءت مما أودعه اللّه سبحانه وتعالى فى كونه من نعم وكنوز ، فإذا ظن الناس ذلك جاء أمر اللّه وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤] .

كما أنه من آثار إسناد الأمر لغير أهله نجد أننا بدلًا من أن نسلم بأن ما فى الدنيا هو للّه سبحانه وتعالى خالقه ومُوجِدُه ، وأنه لا شىء فى الدنيا يتم على غير إرادة اللّه تعالى نجد الناس يغرهم ما كشفه اللّه لهم من علوم ، فينسبونها للإنسان وهو الذى لا يستطيع أن يُخْضِعَ قانونًا واحدًا من قوانين هذا الكون لإرادته ، ومع ذلك فهو يظن على غير الحقيقة أنه قادر على هذا الكون ، وأنه هو الذى أخضع القوانين بالعلم والتكنولوجيا ، حينئذ يأتى أمر اللّه ليعلم الناس الحقيقة .

وإذا أخذنا هذا الحديث : « إسناد الأمر إلى غير أهله » بأنه سيكون هناك حكام وولاة لا يختارون المعاونون لهم لكفاءتهم أو علمهم أو خبرتهم ، ولكنهم يختارونهم من المخلصين لهم

بغير علم ، ومن الذين يطيعونهم بالحق والباطل ، فيعطونهم ما هم ليسوا له بأهل ، وهو ما يعبر عنه فى العصر الحديث بأهل الثقة ، وأهل الخبرة .

هؤلاء الحكام يعرفون من يصلح للعمل ، ولكن لأنه متمسك بالحق فيبعدونه ويأتون ببديل له من أولئك الذين لا يفقهون شيئًا ، وبهذا تبتعد الخبرة عن إدارة العمل ، ويصبح الذين يعلمون لا يفعلون شيئًا ، والذين لا يعلمون هم الذين يديرون حركة الحياة فى الكون كله .

وما دامت المسألة تقريب أهل الثقة وإبعاد أهل الخبرة ، تكون حركة إشراف الناس على الحياة مختلة فيختل الكون كله . ورسول الله ﷺ ينبهنا إلى ذلك فى الحديث الشريف حين يقول : « من ولى من أمر المسلمين شيئًا ، فأمر عليهم أحدًا محاباة ، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفًا ولاعدلًا ، حتى يدخله جهنم »[1] .

(١) رواه أحمد فى المسند [٦/١] و الحاكم فى المستدرك [٧٠٢٤/٢٢] عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وضعفه الشيخ أحمد شاكر ، ووافقه والأرناؤوط ، وقال الذهبى فى التخليص : فيه بكر بن خنيس ، قال الدار قطنى : متروك .

ترك الصلاة

روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : « أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وليصلين قوم لا دين لهم » [1].

والصلاة هى الصلة بين العبد وربه ، وكل أحكام الدين قد ترفع عن الإنسان لعذر ما عدا الصلاة ، لأنها الصلة بين العبد وربه ، فالحج لمن استطاع إليه سبيلًا ، فمن لم يستطع لأنه فقير لا يملك نفقات الحج يسقط عنه الحج ، ومن لم يستطع لأنه مريض بمرض مزمن لا يشفى منه ولا يستطيع معه الحج ،

---

(١) جزء من أثر رواه الطبرانى بهذا اللفظ عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٣٣٣/٧] ورجال الطبرانى رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة ، والحاكم مختصرًا ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

وقد روى الشطر الأول منه مرفوعًا عن شداد بن أوس ، وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد [١٨٤/٤] . رواه الطبرانى فى الكبير وفيه المهلب بن العلاء ولم أجد من ترجمه وبقية رجاله ثقات .

سقط عنه الحج ، والزكاة تسقط عمن لا يملك إلا قوته وقوت عياله ، والصوم يسقط عن المسافر ، أو يسقط عن غير المستطيع وعليه إعادته أو فدية على ما هو مقرر فى كتب الفقه .

ولكن الصلاة لا تسقط بالمرض ، ولا تسقط بالفقر ، ولا تسقط بالسفر ، فالإنسان يصلى واقفًا ، ويصلى قاعدًا إذا كان لا يستطيع أن يقف ، ويصلى فى فراشه إذا كان لا يستطيع أن يغادر الفراش ، ويصلى حتى ولو لم يكن قادرًا على أن يحرك يديه وقدميه ، فالصلاة هى أساس حياة المؤمن لا يتركها أبدًا .

وقول رسول الله ﷺ : « وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وليصلين قوم لادين لهم » فكأنهم أماتوا الصلاة ، بمعنى أنها لم تعد موجودة فى حياتهم ، فالميت يخرج من الحياة الدنيا ، وكذلك الصلاة تخرج من حياة الناس فى آخر الزمان ، والميت يصبح نسيًا منسيًا ، مصداقًا لقوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام لما قالت : ﴿ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴾ [مريم : ٢٣] .

وهكذا تُنسى الصلاة فى آخر الزمان ، ويؤذن الله أكبر ،

والناس لاهون فى أمور الدنيا فلا يقوم أحد إلى الصلاة ، بل عندما يؤذن المؤذن للصلاة يكون كأنه ينادى على موتى فلا يجيبه أحد [1] .

○ ○ ○

(١) روى أحمد فى المسند [٢٥١/٥] ، وابن حبان فى صحيحه [٦٧١٥] وقال الأرناؤوط : إسناده قوى ، والحاكم [١٠٤/٤] وقال : الإسناد كله صحيح ولم يخرجاه ، والطبرانى فى الكبير [٧٤٨٦/٩٨/٨] عن أبى أُمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال : « لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ، وكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ، فأولهن نقضًا الحكم ، وآخرهن الصلاة » .

ضياع الأمانة

قال رسول الله ﷺ : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة » (١) ، وهذا معناه أنهم أضاعوا منهج الله ، لأن الأمانة هى المنهج الذى حمله الإنسان ليؤديه فى الدنيا ، مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٦٤٩٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

وأخرج البخارى [٦٤٩٧] عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهما ؛ قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا : « أن الأمانة نزلت فى جَذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ، ثم علموا من السنة » . وحدثنا عن رفعها ؛ قال : « ينام الرجل النومة ، فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت ، ثم ينام النومة ، فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْل ؛ كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء ، فيصبح الناس يتبايعون ، فلا يكاد أحدهم يؤدى الأمانة ، فيقال : إن فى بنى فلان رجلًا أمينًا ، ويقال للرجل : ما أعقله ! وما أظرفه ! وما فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان » ، ولقد أتى علىَّ زمان وما أبالى أيكم بايعت ، لئن كان مسلمًا ؛ رده علىَّ الإسلام ، وإن كان نصرانيًا ؛ ردَّه علىَّ ساعيه ، فأما اليوم ؛ فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] .

فكأن الناس فى آخر الزمان يضيعون منهج الله ، وكيف يضيعونه ؟ إنه يكون فى أيديهم ولكنهم لا يعملون به ، وهكذا ضيعوا على أنفسهم ثواب المنهج الذى لو علموا به لحصلوا على خيرى الدنيا والآخرة ، فإن الله سبحانه وتعالى قد أعطاهم شيئًا ثمينًا ، وهو القرآن الكريم فأضاعوه ، أى : أضاعوا أمره ونهيه ولم يلتفتوا إليه ، ولم يحاولوا أن يبحثوا عما فيه من كنوز ومن علوم ، هذه واحدة .

والثانية : أنهم أهملوا الأخذ به ، فبدلًا من أن يتبعوا التشريعات التى شرعها الله ذهبوا ليقننوا لأنفسهم ، وكأنما قوانين البشر هى أعلى من قوانين الله ، ولذلك ترك الإنسان المنهج الذى أعطاه الله إياه وانطلق يشرع لنفسه ، وسمعنا عن القانون الرومانى ، والقانون الفرنسى ، والقانون الإنجليزى إلى آخر هذه القوانين ، كل قانون منها يتبع هوى النفس ، وكل قانون منها وضع ليميز طبقة عن طبقة ، ويميز أفرادًا عن أفراد .

أما قانون الله سبحانه وتعالى الذى شرعه لخلقه فهو

القانون الذى فيه العدل بلا هوى ، والحق بلا غرض ، و « ضياع الأمانة » أى : جعل الدين فى خدمة الدنيا ، بينما الدين هو السيد ، وكل ما فى الدنيا يجب أن يلتزم أمره ونهيه ، ففسروا دين اللَّه بغير ما جاء من أجله ، وأصدروا الفتاوى ليحلوا ما حرم اللَّه ، ويحرموا ما أحله خدمة لأمور دنياهم ، وتقربًا منهم لذوى النفوذ ، فأضاعوا عدل الدين ، وأضاعوا حكمته ، وأضاعوا كل شىء يمكن أن يعطى الإنسان الحياة الآمنة المستقرة وهذا كله من علامات الساعة .



كثرة الكذب واستحلاله

قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن ويكثر الكذب [1] . يستحل الكذب فى ذاك الوقت وكأنه قد أصبح حلالًا يتعامل به كل الناس ، وأصبح مقبولًا فى المجتمع فلا يُنفر منه ولا يستنكره أحد ، والكذب هو انفصال الكلام عن الواقع ، فأنت إذا قلت : محمد عندى ، ولم يكن عندك فقد انفصل كلامك عن الواقع الحقيقى ، ولذلك يقال : كذب ، واستحلال الكذب معناه : أن القول قد انفصل عن الفعل فى حياة المجتمع فيصبح المجتمع كلامه شىء وفعله شىء آخر ، ويصبح الناس كلامهم غير أفعالهم ، فما يقوله الناس شىء وما يفعلونه شىء آخر تمامًا .

تجد إنسانًا يحدثك عن الأمانة ، فإذا ائتمنته خانك ، وإنسان يحدثك عن الذمة والشرف ، فإذا عاملته كان لا ذمة له ولا شرف عنده ، وإنسان يحدثك عن المال الحرام وخطورته على الفرد والمجتمع حديثًا مستفيضًا . فإذا أُتيحت له الفرصة مد

(١) رواه أحمد فى المسند [٥١٩/٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وابن حبان فى صحيحه [٦٧١٨] وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح .

يده إلى المال وانتهبه .

إذن .. فى هذه الحالة انفصل واقع الحياة عن أولئك الذين يعيشون فيها .

والإنسان لا يكذب إلا إذا كان يريد أن يخفى خطيئة ، فإذا رأى إنسان امرأة معك وسألك عمن معك فإن كانت زوجتك فإنك تقول : هذه زوجتى ، أما إذا كانت زوجة غيرك ، فإنك تحاول أن تخفى هذه الخطيئة بالكذب ، وإذا كنت تحصى مالًا حلالًا ودخل عليك إنسان وسألك عن هذا المال تقول : هو مالى بلا تردد ولا خوف ، فإذا كان مالًا حرامًا حاولت أن تكذب لتخفى هذه الخطيئة .

وهكذا .. نرى أن معنى أن يستحل الناس الكذب أن يكون المجتمع مليئًا بالخطايا ، ولذلك يحاول الناس أن يكذبوا لتغطية خطاياهم ، فإذا رأيت مجتمعًا يملؤه الكذب ، فاعلم أنه تملؤه الخطيئة ، وإذا رأيت مجتمعًا يعيش بالصدق فاعلم أنه مجتمع خطاياه قليلة [1] .

---

(١) أخرج مسلم فى المقدمة [٦/٦] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : عن رسول الله ﷺ أنه قال : « سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم =

= ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم » .

وفى رواية [٧/٧] : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » .

وأخرج مسلم فى المقدمة [٧/٧] عن عامر بن عبدة قال : قال عبد الله : « إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل فيأتى القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلًا أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه يحدث » .

وعنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : « إن فى البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنًا » .

قال النووى : معناه تقرأ شيئًا ليس بقرآن وتقول أنه قرآن لتغر به عوام الناس فلا يغترون » .

قال فى أشراط الساعة : وما أكثر الأحاديث الغريبة فى هذا الزمان فقد أصبح بعض الناس لا يتورع عن كثرة الكذب ، ونقل الأقوال بدون تثبت من صحتها ، وفى هذا إضلال للناس وفتنة لهم ، ولهذا حذر النبى ﷺ من تصديقهم ، وقد جعل علماء الحديث هذه الأحاديث أصلًا فى وجوب التثبت فى نقل الأحاديث عن رسول الله ﷺ وتمحيص الرواة لمعرفة الثقة من غيره . وبسبب كثرة كذب الناس فى هذا الزمن صار الإنسان لا يميز بين الأخبار فلا يعرف صحيحها من سقيمها [١] .

(١) مسلم بشرح النووى [١/١١١:١١٢] .

الاستخفاف بالدماء

قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة إثنتان وسبعون خصلة فذكر الخصال ومنها : « واستخفوا بالدماء » [(١)] .

وعن عابس الغفارى رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تمنوا الموت عند خصال ست ، عند إمارة السفهاء ، وبيع الحكم ، واستخفاف بالدم ، وكثرة الشرط ، وقطيعة الرحم ، ونَشْواً يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليغنيهم وليس بأفقههم [(٢)] .

وعن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أنه قال : « خمس أظلتكم ؛ من أدرك منهنَّ شيئًا ، ثم استطاع أن يموت ؛

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير [١٨/٣٦/٦١] ، وأحمد فى المسند [٣/٤٩٤] .
وقال الأرناؤوط : حديث صحيح ، وإسناد أحمد ضعيف . « ونشواً » المشهور أنه بفتح فسكون ، قيل : بفتحتين ، وعلى الوجهين فآخره همزة ، أى : جماعة أحداثًا ، وهو على الثانى جمع ناشىء ، كخدم جمع خادم ، وعلى الأول تسمية بالمصدر .

فليمت : أن يظهر التلاعن على المنابر ، ويعطى مال اللّٰه على الكذب والبهتان وسفك الدماء بغير حق ، وتقطع الأرحام ، ويصبح العبد لا يدرى أضال هو أم مهتد »[1] .

أى : أن الناس يهدرون دم بعضهم البعض باستخفاف غريب ، ودم الإنسان لا يهدر إلا بحقه ، ولكن فى آخر الزمان يُسْتَخفّ بالدماء ، فيقتل الأبرياء دون أن يفعلوا شيئًا ، وتهدم الأماكن فوق رءوس النساء والأطفال دون ذنب فعلوه ، وهذا ما يحدث الآن ، فقد استخف الناس بالدماء ، فترى رجلًا يدبر حادث نسف بسيارة ملغومة يقتل فيه العشرات من الأبرياء باستخفاف غريب ، دون أن يشعر بأى ذنب ، وكذلك خطف الرهائن وقتلهم ، ووضع المتفجرات فى الأماكن المزدحمة ، ونسف القطارات والسيارات ، وما يحدث فى الحروب من استخفاف بأرواح الأبرياء ، وقصف المدن بالقنابل والصواريخ ، كل هذا يحدث الآن باستخفاف

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك [٤/٤٦٩] وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى .

غريب ، فلا ضمير يستيقظ ، ولا إنسان يثور على قتل الأبرياء بلا حساب ، وما وضع مسلمى البوسنة والهرسك والشيشان وفلسطين وغيرهم من ديار المسلمين ببعيد . وهذا هو قمة الاستخفاف بالدماء .

○ ○ ○

عقـوق الوالديـن

من علامات الساعة التى أنبأنا بها رسول الله ﷺ أن يعق الولد أباه حتى إنه يصبح خيرًا للأب أن يربى كلبًا يحرسه من أن يربى ولدًا يورده موارد الهلكة ، فالكلب يخلص لصاحبه ويحرس بيته من اللصوص وخلافه ، أما الابن فيكون غيظ أبيه وأمه [1] .

---

(١) روى الترمذى [٢٢١٠] عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله تعالى عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة فى الجنة وسائرهنَّ فى النار ؟ » .
قلت : ومتى ذلك يا رسول الله ؟
قال : « إذا كثرت الشرط ، وملكت الإماء ، وقعدت الحملان على المنابر ، واتخذ القرآن مزامير ، وزخرفت المساجد ، ورفعت المنابر ، واتخذ الفيء دولًا ، والزكاة مغرمًا ، والأمانة مغنمًا ، وتفقه فى الدين لغير الله ، وأطاع الرجل امرأته ، وعقَّ أمه ، وأقصى أباه ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل اتقاء شرِّه ؛ فيومئذ يكون ذلك ، ويفزع الناس إلى الشام ، وإلى مدينة منها يقال لها : دمشق ؛ من خير مدن الشام ، فتحصنهم من عدوهم » .
قلت : وهل تفتح الشام ؟ =

وانتشار عقوق الوالدين في المجتمع يؤدى إلى أن لا يوقر الناس الكبير ، ولا يرحموا الصغير وأن يلبسوا جلود الضأن ، وقلوبهم كالذئاب ، أى : أنهم يتظاهرون بالمسالمة ، بينما هم في داخلهم متوحشون ، لا شفقة عندهم ولا رحمة .

= قال : « نعم ؛ وشيكًا ، ثم تقع الفتن بعد فتحها ، ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضًا ، حتى يخرج رجل من أهل بيتى يقال له : المهدى ، فإن أدركته ؛ فاتّبعه ، وكن من المهتدين » .

رواه الطبرانى فى المعجم الكبير [٩١/٥١/١٨] ، وقال الهيثمى [٣٢٦/٧] : « وفيه عبد الحميد بن إبراهيم ، وثقه ابن حِبّان وهو ضعيف ، وفيه جماعة لم أعرفهم » .

وعن علىّ بن أبى طالب رضى اللَّه تعالى عنه ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة ؛ حلَّ بها البلاء » .

قيل وما هى يا رسول اللَّه ؟ قال : « إذا كان المغنم دولًا ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وأطاع الرجل زوجته ، وعقَّ أمه ، وبرَّ صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شرّه ، وشربت الخمور ، ولبس الحرير ، واتخذت القيان والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء أو خسفًا أو مسخًا » .

وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٨٦] .

وعن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه ؛ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : =

= « إذا اتخذ الفيء دولًا ، والأمانة مغنمًا ، والزكاة مغرمًا ، وتعلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته ، وعقَّ أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شرِّه ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ؛ فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء وزلزلة وخسفًا ومسخًا وقذفًا ، وآيات تتتابع كنظام بالٍ قطع سلكه فتتابع » .

رواه الترمذى [٢٢١١] ، وقال : هذا حديث غريب . وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٨٧] .

○○○

باب جامع فى علامات القيامة التى ظهرت ولم تنقضى

تطاول الحفاة .. وركون العلماء للحكام .. المال الحرام
انتشار الخرافات .. زخرفة المساجد .. سلطان النساء

ومن علامات القيامة أن يتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة فى البنيان (١) ، أى يصبح المال فى يد من لا علم لهم ، فيملكون مال الدنيا ، وليس عندهم علم لكى يحسنوا استثماره .

وأن يركن العلماء إلى الولاة ، أى : يُخْضِعَ العلماءُ أحكام الدين للدنيا ، يريدون بها مالا أو وظيفة ، فيحلّون الحرام ويحرّمون الحلال (٢) .

وأن يؤخذ المال بغير حقه ، فينتشر المال الحرام حتى تصبح

---

(١) جزء من حديث جبريل المشهور فى البخارى [٤٧٧٧] ، ومسلم [١/٨] .

(٢) عن عليّ رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من اقتراب الساعة : إذا كثر خطباء المنابر وركن علماؤكم إلى ولاتكم ، فأحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فأفتوهم بما يشتهون ، وتعلم علماؤكم ليجلبوا به دنانيركم ودراهمكم واتخذتم القرآن تجارة .

رواه الديلمى .

الصفة الغالبة فى المجتمع هى أن يحصل الناس على المال بدون عمل ، فتكثر السرقة ، والرشوة ، والنصب ، والاختلاس ، ويتحايل الناس بالمشروعات الوهمية ليحصلوا على الأموال بالباطل [١] .

ومن علامات الساعة التى أنبأنا عنها رسول الله ﷺ : « أن تنتشر الخرافات » فيصدِّق الناس التنجيم وقراءة الطالع [٢] .

ويكون السلطان والقوة للنساء فيحكمن الرجال ، فى كل الأمور .

وتكون قلوب المسلمين كقلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب ، أى : أنهم يتكلمون باللغة العربية ، ولكن قلوبهم

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ليأتين على الناس زمان ؛ لا يبالى المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام ؟ » .

أخرجه البخارى [٢٠٨٣] .

(٢) عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن رجلًا قال للنبى ﷺ : متى الساعة ؟ فقال : « ذاك عند حيف الأئمة ، وتصديق بالنجوم ، وتكذيب بالقدر ، وحتى تتخذ الأمانة مغنمًا ، والصدقة مغرمًا والفاحشة زيارة فعند ذلك هلاك قومك .

رواه البزار ، وقال الهيثمى : وفيه من لم أعرفهم .

تهوى وتعشق كل ما هو أجنبى ، فحياة الأعاجم هى التى تستهويهم ، وهى التى تعجبهم .

وأن تزخرف المساجد وتحلى المصاحف ، أى : أن يكون الإيمان ظاهريًّا فقط فلا قلوب تخشع ، ولا أفئدة تخضع [(١)] .

(١) عن أنس رضى اللّه تعالى عنه أنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد » .

رواه أحمد [٣/١٤٥،١٣٤و١٥٢] ، وأبو داود [٤٤٩] ، والنسائى [٢/٣٢] ، وابن ماجه [٧٣٩] ، وابن حِبَّان فى صحيحه [١٦١٤] وصححه الأرناؤوط .

ورواه أبو يعلى ، وابن خزيمة فى صحيحه ؛ بلفظ : « يأتى على أمتى زمان يتباهون بالمساجد ، ثم لا يعمرونها إلا قليلًا » .

وفى رواية لابن حبان : « نهى رسول اللّه ﷺ أن يتباهى الناس فى المساجد » .

و « المباهاة » فى اللغة : المفاخرة ، والمراد هاهنا المفاخرة بتشييد المساجد وزخرفتها وتنقيشها ، وقد وقع ذلك وكثر فى هذه الأزمان الأخيرة .

وعن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما ؛ قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أراكم ستشرفون مساجدكم بعدى كما شرفت اليهود كنائسها ، وكما شرفت النصارى بيعها » .

رواه ابن ماجه .

وعنه رضى اللّه تعالى عنه : أنه قال : « لتزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى » . =

= رواه أبو داود [٤٤٨] ، وابن حبان فى صحيحه [١٦١٥] ، وذكره البخارى في صحيحه تعليقًا بصيغة الجزم .

قال ابن الأثير : « الزخرف » : فى الأصل الذهب ، وكمال حسن الشيء . وقال الراغب الأصفهانى : « الزخرف » : الزينة المزوقة ، ومنه قيل للذهب : « زخرف » . انتهى .

وقد افتتن كثير من المسلمين فى زماننا بتزويق المساجد وتحسين بنائها وتضخيمه ؛ فالله المستعان .

وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه ؛ قال : قال رسول الله ﷺ : « للساعة أشراط »

قيل : وما أشراطها ؟

قال : « غلو أهل الفسق فى المساجد ... » الحديث . رواه أبو نعيم فى الحلية .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « يا ابن مسعود ! إن من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب » .

رواه الطبرانى فى حديث طويل ذكره فى أشراط الساعة .

وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه : أنه قال : « إذا زخرفتم مساجدكم ، وحليتم مصاحفكم ؛ فعليكم الدمار » .

رواه ابن أبى الدنيا فى « المصاحف » .

○ ○ ○

ظهور الفتن

....

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله تعالى عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : « إن بين يدى الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافراً ويمسى مؤمنًا ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى . فكسروا قسيكم ، وقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم الحجارة . فإن دخل على أحدكم ، فليكن كخير ابنى آدم »[1] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسى كافراً أو يمسى مؤمنًا ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا »[2] .

وعن أم سلمة زوج النبى ﷺ ورضى الله تعالى عنها قالت : استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا يقول : سبحان الله ، ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن ، من يوقظ صواحب الحجرات ؟ - يريد أزواجه - لكى يصلين ، رب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة »[3] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : نادى=

(١) رواه أحمد [٤/٤٠٨] ، والحاكم فى المستدرك [٤/٤٤٠] ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٢٠٤٥] .

(٢) أخرجه مسلم [١١٨/١٨٦] ، والترمذى [٢١٩٥] .

(٣) أخرجه البخارى [٧٠٦٩] .

....

= منادى رسول الله ﷺ : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبى قبلى إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وأن أمتكم هذه جعل عافيتها فى أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجىء الفتنة فيرقق بعضها بعضًا ، وتجىء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه ، فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر[١] .

○ ○ ○

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم [٤٦/١٨٤٤] .

قبض العلم وظهور الجهل

عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل » [1] .

وعن عبد الله وأبى موسى قالا : قال النبى ﷺ : « إن بين يدى الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العِلم ويكثر فيها الهرج ، والهرج القتل » [2] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج » [3] .

قال ابن بطال : « وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها عيانًا فقد نقص العلم وظهر الجهل وألقى الشح فى القلوب وعمت الفتن وكثر القتل » [4] وعقب على ذلك الحافظ ابن حجر بقوله : « الذى يظهر أن الذى شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله ، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى مما يقابله إلا النادر وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم فلا يبقى إلا الجهل الصرف ، ولا يمنع من ذلك وجود =

---

(١) أخرجه البخارى [٨٠] ، وصحيح مسلم [٨/٢٦٧] ، والترمذى [٢٢٠٥] ، وابن ماجه [٤٠٤٥] بنحوه مطولًا .

(٢) أخرجه البخارى [٧٠٦٢،٧٠٦٣] .

(٣) أخرجه مسلم [١١/١٥٧] كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل .

(٤) فتح البارى [١٣/١٦] .

....

= طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذ معمورين فى أولئك »[1] .
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد . ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[2] .
قال النووى : « هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم فى الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه ولكن معناه : أن يموت حملته ويتخذ الناس جهالًا يحكمون بجهالاتهم فيضلون ويضلون »[3] .
قال الإمام الذهبى بعد ذكره لطائفة من العلماء : « وما أوتوا من العلم إلا قليلًا ، وأما اليوم فما بقى من العلوم القليلة إلا القليل فى أناس قليل ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل فحسبنا الله ونعم الوكيل »[4] .
ولا يزال العلم ينقص والجهل يكثر حتى لا يعرف الناس فرائض الإسلام .
فقد روى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب ، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الأرض منه آية ، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون : أدركنا آباءنا

(١) المرجع السابق .
(٢) أخرجه البخارى [١٠٠] ، ومسلم [١٣/٢٦٧٣] ، والترمذى [٢٦٥٣] .
(٣) شرح النووى على مسلم [٤٧٨/٨] .
(٤) تذكرة الحفاظ [١٠٣١/٣] .

على هذه الكلمة يقولون : « لا إله إلا اللّه » فنحن نقولها .
فقال له صلة : ما تغنى عنهم لا إله إلا اللّه وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة ، ثم رددها عليه ثلاثًا كل ذلك يعرض عنه حذيفة .
ثم أقبل عليه فى الثالثة فقال : يا صلة تنجيهم من النار ثلاثًا » [1] .
وقال عبد اللّه بن مسعود رضى اللّه تعالى عنه : « إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينكم الصلاة ، وليصلين قوم لا دين لهم ، ولينتزعن القرآن من بين أظهركم .
قالوا : يا أبا عبد الرحمن : ألسنا نقرأ القرآن وقد أثبتناه فى مصاحفنا ؟
قال : يسرى على القرآن ليلًا فيذهب من أجواف الرجال فلا يبقى فى الأرض منه شيء » [2].

---

(١) رواه ابن ماجه [٤٠٤٩] والحاكم فى المستدرك [٤/٤٧٣] وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبى ، وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٢٧٣] ، والصحيحة [٨٧] .

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير [٨٧٠٠/١٤١/٩] وذكره ابن حجر فى الفتح [٥٠٧/١٤] وقال : سنده صحيح موقوف . والهيثمى فى مجمع الزوائد [٥٥:٥٤/٧] وقال : رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح غير شداد بن معقل وهو ثقة .

انتشار الزنا

عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يُرفع العِلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا »[1] .

قال القرطبى فى كتابه المفهم : « فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصًا فى هذه الأزمان »[2] .

وعن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير »[3] .

وفى آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر كما جاء فى حديث النواس رضى الله تعالى عنه : « ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة »[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : والذى نفسى بيده لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها فى الطريق فيكون خيارهم يومئذ من يقول : « لو واريتها وراء هذا الحائط » [5] .

---

(١) أخرجه البخارى [٨٠] ، ومسلم [٨/٢٦٧١] ، والترمذى [٢٢٠٥] ، وابن ماجه [٤٠٤٥] بنحوه مطولًا .

(٢) فتح البارى [١/١٧٩] .

(٣) جزء من حديث أخرجه البخارى [٥٥٩٠] .

(٤) جزء من حديث أخرجه مسلم [١١٠/٢٩٣٧] .

(٥) رواه أبو يعلى فى مسنده [٦١٨٣/٣٤٤] ، قال الهيثمى فى مجمع الزوائد [٧/٣٣١] : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

انتشار الربا

عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « بين يدى الساعة يظهر الربا ، والزنا ، والخمر »[1] .

وعن أبى هريرة رضى اللّه تعالى عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « ليأتين على الناس زمان لا يبالى المرء بما أخذ المال أمن حلال أم من حرام »[2] .

○ ○ ○

(١) ذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب [٣/٩ حديث ٢٤] وقال : رواه الطبرانى ورواته رواة الصحيح .

(٢) أخرجه البخارى [٢٠٨٣] .

ظهور المعازف

عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ ، قيل : ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر »[١] .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غدًا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة »[٢] .

○ ○ ○

---

(١) ذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٣٦٦٥] وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه ، وللترمذى عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه .

(٢) جزء من حديث أخرجه البخارى [٥٥٩٠] .

ولادة الأمة لربتها

جاء فى حديث جبريل الطويل أنه سأل رسول الله ﷺ : « متى الساعة ؟ » فأجاب رسول الله ﷺ قائلًا : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها .. إذا ولدت الأمة ربتها »[1]

قال النووى : قوله ﷺ : « أن تلد الأمة ربتها » وفى الرواية الأخرى « ربها »[2] على التذكير ، وفى الأخرى « بعلها » . وقال يعنى السرارى ومعنى ربها وربتها : سيدها ومالكها ، وسيدتها ومالكتها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فإن ولدها الأخرى « بعلها » . وقال : يعنى السرارى ومعنى ربها وربتها : سيدها ومالكها ، وسيدتها ومالكتها ، قال الأكثرون من العلماء : هو إخبار عن كثرة السرارى وأولادهن فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها ؛ لأن=

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخارى [٤٧٧٧] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، ومسلم [١/٨] عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه .

(٢) أخرج مسلم [٩/٥] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

....

= مال الإنسان صائر إلى ولده ، وقد يتصرف فيه فى الحال تصرف المالكين ، إما بتصريح أبيه له بالإذن ، وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال .

وقيل : معناه : إن الإماء يلدن الملوك فتكون أمه من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ، وهذا قول إبراهيم الحربى .

وقيل : معناه أنه تفسد أحوال الناس فيكثر بيع أمهات الأولاد فى آخر الزمان فيكثر ترددها فى أيدى المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدرى ، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور فى غيرهن ، فإن الأمة تلد ولدًا حرًّا من غير سيدها بشبهةٍ أو ولدًا رقيقًا بنكاح أو زنا ثم تباع الأمة فى الصورتين بيعًا صحيحًا وتدور فى الأيدى حتى يشتريها ولدها ، وهذا أكثر وأعم من تقديره أمهات الأولاد ، وقيل فى معناه غير ما ذكرناه ، ولكنها أقوال ضعيفة جدًا أو فاسدة فتركتها .

وأما بعلها ، فالصحيح فى معناه أن البعل هو المالك ، أو السيد فيكون بمعنى ربها على ما ذكرناه .

قال أهل اللغة : بعل الشىء : ربه ومالكه . =

....

= وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والمفسرون فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [الصافات : ١٢٥] . أى : ربًّا .
وقيل : المراد بالبعل فى الحديث : الزوج ، ومعناه نحو ما تقدم : أنه يكثر بيع السرارى حتى يتزوج الإنسان أمه وهو لا يدرى ، وهذا أيضًا معنى صحيح إلا أن الأول أظهر ؛ لأنه إذا أمكن حمل الروايتين فى القضية الواحدة على معنى واحد كان أولى .
والله تعالى أعلم .

واعلم أن هذا الحديث ليس فيه دليل ذلك ؛ فاستدل أحدهما على الإباحة والآخر على المنع ، وذلك عجب منهما ، وقد أنكر عليهما فإنه ليس كل ما أخبر ﷺ بكونه من علامات الساعة يكون محرمًا أو مذمومًا ، فإن تطاول الرعاء فى البنيان وفشو المال وكون خمسين امرأة لهن قيمّ واحد ليس بحرام بلا شك ، وإنما هذه علامات ، والعلامة لا يشترط فيها شىء من ذلك ؛ بل تكون بالخير والشر والمباح والمحرم والواجب وغيره .
والله تعالى أعلم [1] .

---

(١) شرح النووى على مسلم [١/١٩٣:١٩٤] .

ظهور الفحش وقطيعة الأرحام

....

عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش وقطيعة الرحم وسوء المجاورة »(١) .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الأرحام وتخوين الأمين ، وائتمان الخائن » (٢) .

وقال ﷺ : « إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى ، قال : فذاك لك .

ثم قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ=

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد فى المسند [١٦٢/٢، ١٩٩] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . والحاكم فى المستدرك [١٤٧/١، ٥٨٨/٤] .

(٢) رواه الطبراني فى الأوسط [١٣٧٨/٢١١/٢] وقال الهيثمي فى مجمع الزوائد [٢٨٤/٧] : رجاله ثقات .

....

= ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[1] [محمد] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يدخل الجنة قاطع رحم »[2] .

ونهى النبى ﷺ عن أذى الجار فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذى جاره »[3] .

○ ○ ○

---

(١) أخرجه مسلم [١٦/٢٥٥٤] .

(٢) أخرجه مسلم [١٩/٢٥٥٦] .

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم [٧٥/٤٧] .

ذهاب الصالحين

....

عن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً »(١).

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ أنه قال : « يأتى على الناس زمان يغربلون فيه غربلة يبقى منهم حثالة قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه »(٢).

قال صاحب أشراط الساعة : وذهاب الصالحين يكون عند=

(١) رواه أحمد فى المسند [٢/٢١٠] . وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، والحاكم فى المستدرك [٤/٤٨١] وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبد الله بن عمرو ، ووافقه الذهبى .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٢/٢٢٠] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح . وأبو داود [٤٣٤٢] ، وابن ماجه [٣٩٥٧] ، وابن حبان فى صحيحه [٥٩٥١] ، والحاكم فى المستدرك [٤/٤٨١] وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

....

= كثرة المعاصى وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فإن الصالحين إذا رأوا المنكر ولم يغيروه وكثر الفساد عمهم العذاب مع غيرهم إذا نزل كما جاء فى الحديث لما قيل للنبى ﷺ : « أنهلك وفينا الصالحون ؟ » قال : نعم إذا كثر الخبث [1].

○ ○ ○

(١) سبق تخريجه .

أن يكون السلام للمعرفة

....

عن ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « إن من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه إلا للمعرفة »[1] .

وفى رواية له : « إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة »[2] .

قال صاحب أشراط الساعة : وهذا أمر مشاهد فى هذا الزمن ، فكثير من الناس لا يسلمون إلا على من يعرفون ، وهذا خلاف السنة ، فإن النبى ﷺ حث على إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف وأن ذلك سبب فى انتشار المحبة بين المسلمين التى هى سبب للإيمان الذى به يكون دخول الجنة كما جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى=

---

(١) رواه أحمد فى المسند [١/٤٠٥] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١/٤٠٧] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

= تحابوا أَوَلَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفشوا السلام بينكم » [1] .

وعن ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه قال : « من أشراط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل بالمعرفة ، وأن تتخذ المساجد طرقًا » [2].

○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم [٥٤/٩٣] .

(٢) رواه البيهقى فى السنن الكبرى [٣١٤٦] .

التماس العلم من الأصاغر

....

عن أبى أُمية الجمحى رضى اللّٰه تعالى عنه ، أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « إن من أشراط الساعة ثلاثًا إحداهن أن يلتمس العلم عند الأصاغر » [(١)] .

وسئل الإمام عبد اللّٰه بن المبارك عن الأصاغر ؟ فقال : « الذين يقولون برأيهم فأما صغير يروى عنه كبير فليس بصغير » .

وقال أيضًا : أتاهم العلم من قبل أصاغرهم يعنى أهل البدع »[(٢)] .

وعن ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه قال : « لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا »[(٣)] .

○ ○ ○

---

(١) كتاب الزهد لابن المبارك [٦١/٢٠-٢١] .

(٢) حاشية كتاب الزهد [ص : ٣١] .

(٣) كتاب الزهد لابن المبارك .

صدق رؤيا المؤمن

عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثًا ، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءًا من النبوة »(1) .

وفى رواية عنه رضى اللَّه تعالى عنه عند البخارى زاد : « ...وما كان من النبوة فإنه لا يكذب »(2) .

قال ابن أبى جمرة : « معنى كون رؤيا المؤمن فى آخر الزمان لا تكاد تكذب أنها تقع غالبًا على الوجه الذى لا يحتاج إلى تعبير فلا يدخلها الكذب ، بخلاف ما قبل ، فإنها قد يخفى تأويلها فيعبرها العابر فلا تقع كما قال ، فيصدق دخول الكذب فيها بهذا الاعتبار .

قال : والحكمة فى اختصاص ذلك بآخر الزمان أن المؤمن فى ذلك الوقت يكون غريبًا كما فى الحديث : « بدأ الإسلام غريبًا=

---

(1) جزء من حديث أخرجه مسلم [٦/٢٢٦٣] ، وأبو داود [٥٠١٩] ، والترمذى [٢٢٧٠] . وبنحوه ابن ماجه [٣٩٠٦] .

(2) أخرجه البخارى [٧٠١٧] .

= وسيعود غريبًا »[1] . فَيَقِلُّ أنيس المؤمن ومعينه فى ذلك الوقت فيكرم بالرؤيا الصادقة .

قال : ويمكن أن يؤخذ من هذا سبب اختلاف الأحاديث فى عدد أجزاء النبوة بالنسبة لرؤيا المؤمن فيقال : كلما قرب الأمر وكانت الرؤيا أصدق حمل على أقل عدد ورد ، وعكسه ، وما بين ذلك .

قلت : وتنبغى الإشارة إلى هذه المناسبة فيما تقدم من المناسبات وحاصل ما اجتمع من كلامهم فى معنى قوله : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب » إذا كان المراد آخر الزمان ثلاثة أقوال :

أحدها : أن العلم بأمور الديانة لما يذهب غالبه بذهاب غالب أهله وتعذرت النبوة فى هذه الأمة عوضوا بالمرأى الصادقة ليجدد لهم ما قد درس من العلم .

والثانى : أن المؤمنين لما يقل عددهم ويغلب الكفر والجهل والفسق على الموجودين يؤنس المؤمن ويعان بالرؤيا الصادقة إكرامًا له وتسلية ، وعلى هذين القولين لا يختص ذلك بزمان=

(١) أخرجه مسلم [٢٣٢/١٤٥] عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه .

= معين بل كلما قرب فراغ الدنيا وأخذ أمر الدين فى الاضمحلال تكون رؤيا المؤمن الصادق أصدق .

والثالث : أن ذلك خاص بزمان عيسى ابن مريم ، وأولها أولاها ، والله تعالى أعلم [1] .

○ ○ ○

(١) فتح البارى [٤٤٠،٤٣٩/١٤] .

التهاون بالسنن

عن ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه قال : سمعت رسول اللّٰه ﷺ وهو يقول : « إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل بالمسجد لا يصلى فيه ركعتين »[1] .

وفى رواية : « أن يجتاز الرجل بالمسجد فلا يصلى فيه »[2] .

وعن ابن مسعود أيضًا قال : « لا تقوم الساعة حتى تتخذ المساجد طرقًا »[3] .

وعن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه يرفعه إلى النبى ﷺ قال : « إن من أمارات الساعة ... أن تتخذ المساجد طرقًا » .

وهذا أمر لا يجوز فإن تعظيم المساجد من تعظيم شعائر اللّٰه تعالى وأن ذلك علامة الإيمان والتقوى كما قال تعالى :=

---

(١) قال فى أشراط الساعة : رواه ابن خزيمة [٢/٢٨٣-٢٨٤]

(٢) قال فى أشراط الساعة : رواه البزار ، وصححه الهيثمى فى مجمع الزوائد [٧/٣٢٩] .

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك [٤/٤٩٣،٥٦٩] . وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

= ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » [١] .

○ ○ ○

(١) أخرجه البخارى [٤٤٤] ، ومسلم [٦٩/٧١٤] ، وأبو داود [٤٦٧] ، والترمذى [٣١٦] ، والنسائى [٥٣/٢] ، وابن ماجه [١٠١٣] عن أبى قتاده رضى الله تعالى عنه .

انتفاخ الأهلة

....

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مِنْ اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة ، وأن يرى الهلال لليلة فيقال لليلتين »[1].

وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه رفعه إلى النبى ﷺ قال : « مِنْ اقتراب الساعة أن يرى الهلال لليلة فيقال : هو ابن ليلتين »[2] .

○ ○ ○

(١) رواه الطبرانى فى الصغير [٨٧٧/١١٥/٢] ، والكبير [١٠٤٥١/١٩٨/١٠] .

(٢) رواه الطبرانى فى الصغير [١١٣٢/٢٦٠/٢] . وقال الألبانى فى صحيح الجامع [٧٦] : حسن .

شهادة الزور وكتمان شهادة الحق

....

عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قوله ﷺ : « إن بين يدى الساعة تسليم الخاصة ، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة ، وقطع الأرحام ، وشهادة الزور وكتمان شهادة الحق وظهور القلم »[1] .

وشهادة الزور هى الكذب متعمدًا فى الشهادة ، فكما أن شهادة الزور سبب لإبطال الحق ، فكذلك كتمان الشهادة سبب لإبطال الحق .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ .

وعن أبى بكرة رضى الله تعالى عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ « ثلاثًا » : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور « أو قول الزور » ، وكان رسول الله ﷺ متكئًا فجلس ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت »[2] .

---

(١) رواه أحمد فى المسند [٤٠٧/١] . وقال الشيخ أحمد شاكر : صحيح .

(٢) أخرجه البخارى [٢٦٥٤] ، ومسلم [١٤٣/٨٧] ، والترمذى [٢٣٠١] .

كثرة النساء وقلة الرجال

....

عن أنس رضى اللّٰه تعالى عنه قال : ألا أحدثكم حديثًا سمعته من رسول اللّٰه ﷺ لا يحدثكم أحد بعدى ، سمعه منه : « إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويظهر الجهل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، وتكثر النساء ، ويذهب الرجال ، وتبقى النساء ، حتى يكون لخمسين امرأة القيّم الواحد » (١) .

وعن أبى موسى رضى اللّٰه تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء » (٢) .

قال النووى : يقل الرجال بسبب القتل ، وتكثر النساء ، فلهذا يكثر الجهل والفساد ، ويظهر الزنا والخمر (٣) .

قال الحافظ فى الفتح : قوله : « وتكثر النساء » قيل سببه أن=

---

(١) أخرجه مسلم [٩/٢٦٧١] ، والبخارى [٨١] .

(٢) أخرجه البخارى [١٤١٤] ، ومسلم [٥٩/١٠١٢] .

(٣) شرح النووى لمسلم [٨١/٤٧٨] ، وفتح البارى [١٧٩/١] وانظر التذكرة [ص:٦٣٩] .

= الفتن تكثر فيكثر القتل فى الرجال لأنهم أهل الحرب دون النساء .
وقال أبو عبد الملك : هو إشارة إلى كثرة الفتوح فتكثر السبايا فيتخذ الرجل الواحد عدة موطوءات .
قلت : وفيه نظر ، لأنه صرح بالقلة فى حديث أبى موسى الآتى فى الزكاة عند المصنف فقال : « من قلة الرجال وكثرة النساء » والظاهر أنها علامة محضة لا لسبب آخر ، بل يقدر اللّٰه فى آخر الزمان أن يقل من يولد من الذكور ويكثر من يولد من الإناث ، وكون كثرة النساء من العلامات مناسبة لظهور الجهل ورفع العلم .
وقوله : « لخمسين » يحتمل أن يراد به حقيقة هذا العدد ، أو يكون مجازًا عن الكثرة . ويؤيده أن فى حديث أبى موسى : « وترى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة » .
قوله : « القيم » أى من يقوم بأمرهن ، واللام للعهد إشعارًا بما هو معهود من كون الرجال قوامين على النساء . وكأن هذه الأمور الخمسة خصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التى يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد ، وهى الدين لأن رفع العلم يخل به ، والعقل لأن شرب الخمر يخل به ، والنسب لأن الزنا يخل به ، والنفس والماء لأن كثرة الفتن تخل بهما .=

....

= قال الكرمانى : وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملًا ، ولا نبى بعد نبينا صلوات اللّه تعالى وسلامه عليهم أجمعين ، فيتعين ذلك .

وقال القرطبى فى « المفهم » : فى هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت ، خصوصًا فى هذه الأزمان .

وقال القرطبى فى التذكرة : يحتمل أن يراد بالقيم من يقوم عليهن سواء كن موطوءات أم لا . ويحتمل أن يكون ذلك يقع فى الزمان الذى لا يبقى فيه من يقول اللّه فيتزوج الواحد بغير عدد جهلًا بالحكم الشرعى .

قلت : وقد وجد ذلك من بعض أمراء التركمان وغيرهم من أهل هذا الزمان مع دعواه الإسلام . واللّه المستعان [(١)] .

○ ○ ○

---

(١) فتح البارى [١/٢٤١:٢٤٢] ، وانظر شرح النووى لمسلم [٤/١٠٥:١٠٦] .

عودة أرض العرب مروجًا وأنهارًا

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا » [1] .

قال النووي : معناه والله أعلم أنهم يتركونها ويعرضون عنها فتبقى مهملة لا تزرع ولا تسقى من مياهها ، وذلك لقلة الرجال وكثرة الحروب وتراكم الفتن ، وقرب الساعة ، وقلة الآمال ، وعدم الفراغ لذلك والاهتمام به » [2] .

○ ○ ○

(١) أخرجه مسلم [١٥٧/٦٠] .

(٢) شرح النووي لمسلم [١٠٦/٤] .

كثرة المطر وقلة النبات

....

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطرًا لا تكن منها بيوت المدر ، ولا تكن منها إلا بيوت الشعر »[1].

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرًا عامًا ، ولا تنبت الأرض شيئًا »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال :
« ليست السَّنة بأن لا تُمْطَروا ، ولكن السَّنة أن تُمَطروا وتُمطَروا ، ولا تنبت الأرض شيئًا »[3].

○ ○ ○

(١) رواه أحمد فى المسند [٢/٢٦٢] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(٢) رواه أحمد فى المسند [٣/١٤٠] . وقال الأرناؤوط الحديث صحيح ، وهذا إسناد ضعيف .

(٣) أخرجه مسلم [٢٩٠٤/٤٤] .

حسر الفرات عن جبل من ذهب

....

عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقول كل رجل منهم : لعلى أكون أنا الذى أنجو »[1] .

قال صاحب أشراط الساعة : وليس المقصود بهذا الجبل من ذهب « النفط » - البترول الأسود - كما يرى ذلك أبو عبية فى تعليقه على النهاية فى الفتن لابن كثير وذلك من وجوه :

١ - أن النص جاء فى « جبل من ذهب » والبترول ليس بذهب على الحقيقة فإن الذهب هو المعدن المعروف .

٢ - أن النبى ﷺ أخبر أن ماء النهر ينحسر عن جبل من ذهب فيراه الناس ، والنفط أول - البترول - يستخرج من باطن الأرض بالآلات من مسافات بعيدة.

٣ - أن النبى ﷺ خص الفرات بهذا دون غيره من البحار والأنهار ، والنفط نراه يستخرج من البحار كما يستخرج من الأرض وفى أماكن كثيرة متعددة .=

(١) أخرجه البخارى [٧١١٩] ، ومسلم [٢٩/٢٨٤٩] .

= ٤ - أن النبى ﷺ أخبر أن الناس سيقتتلون عند هذا الكنز ولم يحصل أنهم اقتتلوا عند خروج النفط من الفرات أو غيره ، بل إن النبى ﷺ نهى من حضر هذا الكنز أن يأخذ منه شيئًا كما فى الرواية الأخرى عن أُبى بن كعب رضى اللّٰه تعالى عنه قال : « لا يزال الناس مختلفة أعناقهم فى طلب الدنيا ، إنى سمعت رسول اللّٰه ﷺ يقول : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا »[١].

ومن حمله على النفط فإنه يلزمه على قوله هذا النهى عن الأخذ من النفط ولم يقل به أحد[٢] .

وقال الحافظ فى الفتح : أن السبب فى النهى عن الأخذ منه ما يترتب على طلب الأخذ منه من الاقتتال فضلًا عن الأخذ ولا مانع أن يكون ذلك عند خروج النار للمحشر ، لكن ليس ذلك السبب فى النهى عن الأخذ منه .

وقد أخرج ابن ماجه عن ثوبان رفعه قال : « يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة » فذكر الحديث فى المهدى، فهذا إن=

(١) أخرجه مسلم [٢٨٩٥/٣٢] .

(٢) انظر إتحاف الجماعة [١٨٥/٢،١٨٦] ، وأشراط الساعة [ص : ١٥٧،١٥٨] .

كان المراد بالكنز فيه الكنز الذى فى حديث الباب دل على أنه إنما يقع عند ظهور المهدى وذلك قبل نزول عيسى وقبل خروج النار جزمًا والله تعالى أعلم [1].

○ ○ ○

(١) فتح البارى [٥٨٩/١٤] .

....

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء ذئب إلى راعى الغنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى انتزعها منه : قال : فصعد الذئب على « تل » فأقعى واستذفر ، فقال : عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته منى .

فقال الرجل : تا الله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلم !

قال الذئب : أعجب من هذا رجل فى النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم ، وكان الرجل يهوديًا .

فجاء الرجل إلى النبى ﷺ وأخبره فصدقه النبى ﷺ ، ثم قال النبى ﷺ : « إنها أمارة من أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده »[1] .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : عدا=

(١) رواه أحمد فى المسند [٣٠٦/٢] ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

= الذئب على شاة فأخذها ... فذكر القصة إلى أن قال : قال رسول الله ﷺ : « صدق والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده »[1].

○ ○ ○

(١) رواه أحمد فى المسند [٣/٨٣،٨٤] . وقال الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الصحيح .

تمنى الموت من شدة البلاء

عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه أن رسول اللّٰه ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتنى مكانه »[1] .

وعنه رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ، ويقول : يا ليتنى كنت مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء »[2] .

قال صاحب أشراط الساعة : وتمنى الموت يكون عند كثرة الفتن وتغير الأحوال وتبديل رسوم الشريعة وهذا إن لم يكن وقع فهو واقع لا محالة .

قال ابن مسعود رضى اللّٰه تعالى عنه : « سيأتى عليكم زمان لو وجد أحدكم الموت يباع لاشتراه وكما قيل :

وهذا العيش ما لا خير فيه   أَلَا موت يباع فأشتريه[3]=

(١) أخرجه مسلم [٥٣/١٥٧] كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، وهو جزء من حديث أخرجه البخارى [٧١٢١] .

(٢) أخرجه مسلم [٥٤/١٥٧] .

(٣) فيض القدير [٤١٨/٦] .

= قال الحافظ فى الفتح : قوله : « حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه » أى : كنت ميتًا .

قال ابن بطال : تغبط أهل القبور وتمنى الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصى والمنكر انتهى . وليس هذا عامًا فى حق كل أحد وإنما هو خاص بأهل الخير ، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة فى نفسه أو أهله أو دنياه وإن لم يكن فى ذلك شىء يتعلق بدينه ، ويؤيده ما أخرجه فى رواية أبى حازم عن أبى هريرة عند مسلم : « لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول : يا ليتنى مكان صاحب هذا القبر ، وليس به الدين إلا البلاء » ، وذكر الرجل فيه للغالب وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك ، والسبب فى ذلك ما ذكر فى رواية أبى حازم أنه « يقع البلاء والشدة حتى يكون الموت الذى هو أعظم المصائب أهون على المرء فيتمنى أهون المصيبتين فى اعتقاده » وبهذا جزم القرطبى ، وذكره عياض احتمالًا ، وأغرب بعض شراح المصابيح فقال : المراد بالدين هنا العبادة ، والمعنى أنه يتمرغ على القبر ويتمنى الموت فى حالة ليس المتمرغ فيها من عادته وإنما الحامل عليه البلاء ، وتعقبه الطيبى بأن حمل الدين=

....

= على حقيقته أولى ، أى ليس التمنى والتمرغ لأمر أصابه من جهة الدين بل من جهة الدنيا .

وقال ابن عبد البر : ظن بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهى عن تمنى الموت ، وليس كذلك ، وإنما فى هذا أن القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد الحال فى الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه لا لضرر ينزل فى الجسم ، كذا قال ، وكأنه يريد أن النهى عن تمنى الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم ، وأما إذا كان لضرر يتعلق بالدين فلا .

وقد ذكره عياض احتمالًا أيضًا وقال غيره : ليس بين هذا الخبر وحديث النهى عن تمنى الموت معارضة ، لأن النهى صريح وهذا إنما فيه إخبار عن شدة ستحصل ينشأ عنها هذا التمنى ، وليس فيه تعرض لحكمه ، وإنما سيق للإخبار عما سيقع .

قلت : ويمكن أخذ الحكم من الإشارة فى قوله : « وليس به الدين إنما هو البلاء » فإنه سيق مساق الذم والإنكار ، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا ، ويؤيده ثبوت تمنى الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف .

قال النووى : لا كراهة فى ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر بن الخطاب وعيسى الغفارى وعمر بن عبد العزيز وغيرهم .=

= ثم قال القرطبي : كأن في الحديث إشارة إلى أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف أمر الدين ويقل الاعتناء بأمره ولا يبقى لأحد اعتناء إلا بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به ، ومن ثم عظم قدر العبادة أيام الفتنة كما أخرج مسلم من حديث معقل بن يسار رفعه : « العبادة في الهرج كهجرة إليّ »(١) ويؤخذ من قوله : « حتى يمر الرجل بقبر الرجل » أن التمني المذكور إنما يحصل عند رؤية القبر ، وليس ذلك مرادًا بل فيه إشارة إلى قوة هذا التمني لأن الذي يتمنى الموت بسبب الشدة التي تحصل عنده قد يذهب ذلك التمني أو يخف عند مشاهدة القبر والمقبور فيتذكر هو المقام فيضعف تمنيه ، فإذا تمادى على ذلك دل على تأكد أمر تلك الشدة عنده حيث لم يصرفه ما شاهده من وحشة القبر وتذكر ما فيه من الأهوال عن استمراره على تمني الموت .
وقد أخرج الحاكم من طريق أبي سلمة قال : « عدت أبا هريرة فقلت : اللهم اشف أبا هريرة ، فقال : اللهم لا ترجعها ، إن استطعت يا أبا سلمة فمت ، والذي نفسي بيده ليأتين على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر . وليأتين أحدهم قبر أخيه فيقول : ليتني مكانه » . =

(١) أخرجه مسلم [٢٩٤٨/١٣٠] .

= وفى كتاب الفتن من رواية عبد الله بن الصامت عن أبى ذر قال : « يوشك أن تمر الجنازة فى السوق على الجماعة فيراها الرجل فيهز رأسه فيقول : يا ليتنى مكان هذا ، قلت : يا أبا ذر إن ذلك لمن أمر عظيم ، قال : أجل »[1].

وأخبر النبى ﷺ أنه سيأتى على الناس شدة وعناء حتى يتمنون الدجال ، ففى الحديث عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يأتى على الناس زمان يتمنون فيه الدجال ، قلت : يا رسول الله بأبى وأمى مم ذاك ؟ قال : « مما يلقون من العناء والعناء »[2] .

○ ○ ○

(١) فتح البارى [١٤/٥٨١،٥٨٢] .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بنحوه ورجالهما ثقات ، وفى مجمع الزوائد [٧/٢٨٤-٢٨٥] .

فتح القسطنطينية

....

عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال :
« سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر ؟
قالوا : نعم يا رسول اللّٰه .
قال : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بنى إسحاق
فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم ، قالوا :
لا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر فيسقط أحد جانبيها .
قال ثور - أحد رواة الحديث - : لا أعلمه إلا قال : الذى فى البحر .
ثم يقولوا الثانية : لا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر ، فيسقط جانبها الآخر .
ثم يقولوا الثالثة : لا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر ، فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا ، فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ فقال : إن الدجال قد خرج فيتركون كل شىء ويرجعون »[1] .

ذهب الحافظ ابن كثير : إلى أن هذا الحديث « يدل على أن=

---

(١) أخرجه مسلم [٢٩٢٠] .

....

= الروم يسلمون فى آخر الزمان ولعل فتح القسطنطينية يكون على أيدى طائفة منهم كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفًا من بنى إسحاق » واستشهد على ذلك بأنهم مدحوا فى حديث المستورد القرشى فقد قال : « سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « تقوم الساعة والروم أكثر الناس » ، فقال له عمرو بن العاص : أبصر ما تقول ، قال : أقول ما سمعت من رسول اللّه ﷺ قال : لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالًا أربعًا : « إنهم لأحلم الناس عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف ، وخامسة حسنة جميلة ، وأمنعهم من ظلم الملوك »[1] .

قال الترمذى : قال محمود - أى : ابن غيلان شيخ الترمذى - : هذا حديث غريب ، والقسطنطينية هى مدينة الروم تفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت فى زمان بعض أصحاب النبى ﷺ .

والصحيح أن القسطنطينية لم تفتح فى عصر الصحابة فإن معاوية رضى اللّه تعالى عنه بعث إليها ابنه يزيد فى جيش =

---

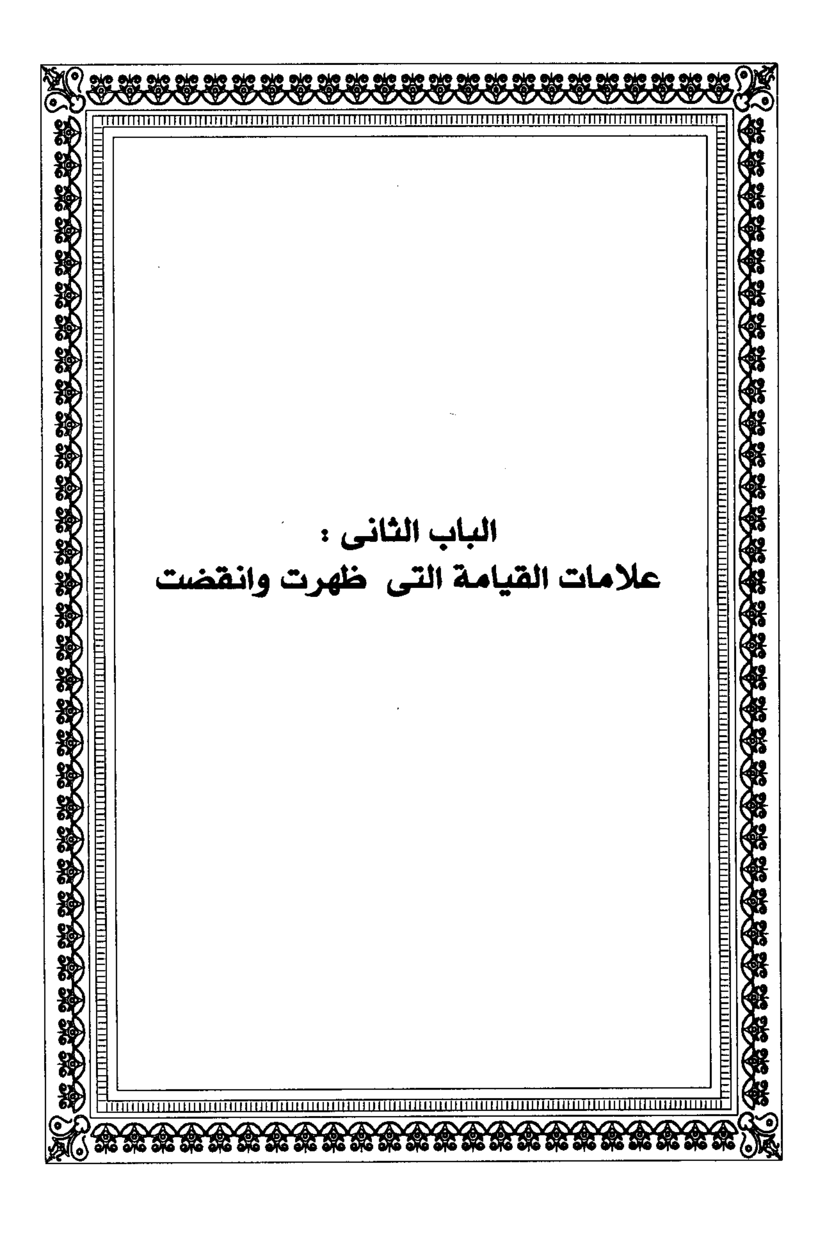
(١) أخرجه مسلم [٣٥/٢٨٩٨] .

= فيهم أبو أيوب الأنصارى ، ولم يتم لهم فتحها ، ثم حاصرها مسلمة بن عبد الملك ولم تفتح أيضًا ، ولكنه صالح أهلها على بناء مسجد بها .

قال الشيخ أحمد محمد شاكر : « فتح القسطنطينية المبشر به فى الحديث سيكون فى مستقبل قريب أو بعيد يعلمه اللَّه عز وجل ، وهو الفتح الصحيح لها حين يعود المسلمون إلى دينهم الذى أعرضوا عنه ، وأما فتح الترك الذى كان قبل عصرنا هذا فإنه كان تمهيدًا للفتح الأعظم ، ثم هى قد خرجت بعد ذلك من أيدى المسلمين منذ أعلنت حكومتهم هناك أنها حكومة غير إسلامية وغير دينية وعاهدت الكفار أعداء الإسلام وحكمت أمتها بأحكام القوانين الوثنية الكافرة ، وسيعود الفتح الإسلامى لها إن شاء اللَّه كما بشر به رسول اللَّه ﷺ »[1] .

○ ○ ○

(١) عمدة التفسير عن ابن كثير [٢/٢٥٦] للعلامة أحمد محمد شاكر .



الباب الثانى :
علامات القيامة التى ظهرت وانقضت

....

عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا - بالوسطى والتى تلى الإبهام - : « بعثت والساعة كهاتين »[1] .

وعن قيس بن أبى حازم عن أبى جبيرة مرفوعًا : « بعثت فى نسم الساعة »[2] .

وروى عنه ﷺ أنه قال : بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقنى »[3] . =

---

(١) أخرجه البخارى [٦٥٠٣] ، ومسلم [١٣٢/٢٩٥٠] .

(٢) ذكره الألبانى فى صحيح الجامع الصغير [٢٨٢٩] ، والصحيحة [٨٠٨] .
وقوله : « فى نسم » قال ابن الأثير فى النهاية [٤٩/٥:٥٠] هو من النسيم ، أول هبوب الريح الضعيفة ، أى : بعثت فى أول أشراط الساعة وضعف مجيئها . وقيل : هو جمع نسمة ، أى : بعثت فى ذوى أرواح خلقهم الله تعالى قبل اقتراب الساعة ، كأنه قال : فى آخر النشء من بنى آدم .

(٣) رواه أحمد فى المسند [٣٨٤/٥] عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله تعالى عنه ، قال ابن حجر فى الفتح [٣٨٤/١١] : سنده حسن .

= قال الحسن البصرى : بعثة رسول اللّه ﷺ من أشراط الساعة ، ذكره ابن كثير فى تفسيره ، وقال : هو كما قال .

وقال ابن كثير : بعثة رسول اللّه ﷺ من أشراط الساعة : لأنه خاتم الرسل الذى أكمل اللّه به الدين وأقام به الحجة على العالمين .

وذكر الحافظ فى الفتح عن الضحاك : أنه قال : أول أشراطها بعثة محمد ﷺ .

○ ○ ○

موت النبى ﷺ

كان موت النبى ﷺ من أعظم المصائب التى وقعت على المسلمين ، فقد أظلمت الدنيا فى عيون الصحابة رضى اللّه تعالى عنهم عندما مات عليه الصلاة والسلام .

قال أنس بن مالك رضى اللّه تعالى عنه : « لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول اللّه ﷺ المدينة أضاء منها كل شىء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شىء ، وما نفضنا عن رسول اللّه ﷺ الأيدى وإنّا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا » .

قال ابن حجر : « يريد أنهم وجدوها تغيرت عما عهدوه فى حياته من الألفة والصفاء والرقة ، لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأديب » .

فبموته ﷺ انقطع الوحى من السماء كما فى جواب أم أيمن لأبى بكر وعمر رضى اللّه تعالى عنهم عندما زاراها بعد موت النبى ﷺ فلما انتهيا إليها بكت ، فقالا لها : « ما يبكيك ما عند اللّه خير لرسول اللّه ﷺ .

فقالت : ما أبكى أن لا أكون أعلم أن ما عند اللّه خير لرسوله ﷺ ولكنى أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها » . =

= فقد مات عليه الصلاة والسلام كما يموت الناس لأن الله تعالى لم يكتب الخلود فى هذه الحياة الدنيا لأحد من الخلق بل هى دار ممر لا دار مقر ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأنبياء] . إلى غير ذلك من الآيات التى تبين أن الموت حق وأن كل نفس ذائقة الموت ، حتى ولو كان سيد الخلق وإمام المتقين محمد بن عبد الله ﷺ .

وكان موته كما قال القرطبى : أول أمر دهم الإسلام ؛ ثم بعده موت أبى بكر ، فبموت النبى ﷺ انقطع الوحى وماتت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه .

○ ○ ○

فقد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

روى أحمد عن على رضى اللّه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يلتمس الرجل من أصحابى كما تتلمس الضالة فلا يوجد [(١)].

ومنها : قتل عثمان بن عفان رضى اللّه تعالى عنه ، لما روى عن حذيفة رضى اللّه تعالى عنه أن عمر بن الخطاب رضى اللّه تعالى عنه قال :

أيكم يحفظ قول رسول اللّه ﷺ فى الفتنة ؟

فقال حذيفة : أنا أحفَظُ كما قال ، قال : هات إنك لجرىءٌ : قال رسول اللّه ﷺ فِتنَةُ الرجل فى أهله وماله وجارهِ تُكَفِّره الصَّلاة والصَّدقة والأمرُ بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال : ليست هذه ولكن التى تموجُ كموجِ البَحْر .

قال : يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها إن بينك وبينها بابًا مُغْلقًا [(٢)]. =

(١) رواه أحمد فى المسند [١/٨٩،٩٣] وقال الأرناؤوط : إسناده ضعيف لضعف الحارث الأعور .

(٢) قال ابن بطال : إنما عدل حذيفة حين سأله عمر عن الإخبار عن =

....

= قال : يفتح الباب أو يُكْسَر .

قال : لا بل يُكْسَر .

قال : ذلك أحرى أن لا يغلق .

قلنا : عَلِمَ الباب .

قال : نعم كما أن دُونَ غَدِ الليلة إنى حدثته حديثًا ليس بالأغاليط ، فَهِبْنَا أن نسأله ، وأمرنا مسروقًا فسأله فقال : من الباب ؟

قال : عُمَرُ » (1) .

وكان ما أخبر به الصَّادق المصدوق ﷺ فقد قُتِلَ عمر وكُسِرَ الباب وظهرت الفِتن ووقع البلاء فكان أول فتنة ظهرت هى قتل الخليفة الرَّاشد ذى النُّورين عثمان بن عفان على يَدِ طائفة من دُعَاة الشَّر الذين تألبوا عليه من العراق ومصر ودخلوا المدينة وقتلوه وهو فى داره رضى اللّٰه تعالى عنه (2).

= الفتنة الكبرى إلى الإخبار بالفتنة الخاصة لئلا يغتم وينشغل باله ، ومن ثم قال له : « إن بينك وبينها بابًا مغلقًا » ولم يقل له أنت الباب ، وهو يعلم أنه الباب ، فعرض له بما فهمه ، ولم يصرح وذلك من حسن أدبه . فتح البارى [١٣/٥٤] .

(١) أخرجه البخارى [٥٢٥] ، ومسلم [٢٣١/١٤٤] .

(٢) هو ما وقع له من القتل الذى نشأت منه الفتن الواقعة بين الصحابة فى الجمل ، ثم صفين وما بعد ذلك . الفتح [١٣/٥٥] .

....

عن أبى هريرة رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة »[1] .

وعنه رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خُوزاً وكرمان من الأعاجم ، حُمر الوجوه فُطْس الأُنوفِ صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرَقة ، نعالهم الشعر »[2] .

وقد قاتل المسلمون الترك من عصر الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم وذلك فى أول خلافة بنى أُمية فى عهد معاوية رضى اللَّه تعالى عنه .

روى أبو يعلى عن معاوية بن خديج قال : « كنت عند معاوية ابن أبى سفيان حين جاءه كتاب من عامله يخبره أنه وقع بالترك وهزمهم وكثرة من قتل منهم ، وكثرة من غنم ، فغضب =

---

(١) أخرجه البخارى [٣٥٨٧] .

(٢) أخرجه البخارى [٣٥٩٠] .

= معاوية من ذلك ، ثم أمر أن يكتب إليه : قد فهمت مما قلت ما قتلت وغنمت فلا أعلمن ما عدت لشيء من ذلك ولا قاتلتهم حتى يأتيك أمرى .

قلت : لِمَ يا أمير المؤمنين ؟

قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم ، فأنا أكره قتالهم لذلك »(١) .

وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله تعالى عنه قال : كنت جالسًا عند النبى ﷺ ؛ فسمعنا النبى ﷺ يقول : « إن أُمتى يسوقها قوم عراض الأوجه صغار الأعين كأن وجوههم الجحف ثلاث مرات حتى يلحقوهم بجزيرة العرب .

أما السابقة الأولى : فينجو من هرب منهم .

وأما الثانية : فيهلك بعض وينجو بعض .

وأما الثالثة : فيصطلمون كلهم من بقى منهم .

قالوا : يا نبى الله : من هم ؟

قال : هم الترك ، قال : أما والذى نفسى بيده ، ليربطن=

(١) فتح البارى [٦٠٩/٦] ، مجمع الزوائد [٣١٢/٧] .

....

= خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين »[1] .

وفى الحديث : « دعوا الحبشة ما ودعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم »[2] .

قال ابن حجر : كان ما بينهم وبين المسلمين مسدودًا إلى أن فتح ذلك شيئًا بعد شيء وكثر السبى منهم ، وتنافس الملوك فيهم لما يتصفون به من الشدة والبأس حتى كان أكثر عسكر المعتصم منهم ، ثم غلب الأتراك على الملك ، فقتلوا ابنة المتوكل ثم أولاده ، واحدًا بعد واحد إلى أن خالط المملكة الديلم ، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضًا ، فملكوا بلاد العجم ، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين ثم آل سلجوق وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم . ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكى وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب ، واستكثر هؤلاء أيضًا من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية . =

---

(1) رواه أحمد فى المسند [٥/٣٤٨-٣٤٩] .

(2) رواه أبو داود [٤٣٠٢] ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى [٧٧٢] عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ .

= وعلى هذا يكون التتار الذين ظهروا فى القرن السابع الهجرى هم من الترك فإن الصفات التى جاءت فى وصف الترك تنطبق على التتار – المغول – وقد كان ظهورهم فى زمن الإمام النووى رحمه اللّه فقال فيهم : قد وجد قتال هؤلاء الترك بجميع صفاتهم التى ذكرها ﷺ ،صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنف عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ، فوجدوا بهذه الصفات كلها فى زماننا وقاتلهم المسلمون مرات ، وقتالهم الآن »[(١)] .

وقال التاج السبكى فى طبقاته لم يكن منذ خلق اللّه الدنيا فتنة أكبر من فتنة التتار . ولم يزل بقاياهم يخرجون إلى أن كان آخرهم تيمور الأعرج وظهر بجميع ذلك مصداق قوله ﷺ « إن أول من يسلب أمتى ملكها بنو قنطوراء »[(٢)] . =

---

(١) شرح النووى لمسلم [١٨/٣٧-٣٨] . وأشراط الساعة [ص : ٩٣/٩٨] بتصرف .

(٢) روى أحمد فى المسند [٥/٤٤] عن أبى بكرة عن أبيه رضى اللّه تعالى عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لتنزلن طائفة من أمتى أرضًا يقال لها البصرة يكثر بها عددهم ويكثر بها نخلهم ثم يجىء =

= وقنطوراء كانت جارية لإبراهيم الخليل من أولادها التتار ، وقد كان خراب بغداد وقتل الخليفة المعتصم آخر خلفاء العباسيين ببغداد على أيديهم سنة ست وخمسين وستمائة .

وقد دخل كثير من الترك فى الإسلام ، ووقع على أيديهم خير كثير للإسلام والمسلمين وكونوا دولة إسلامية قوية عز بها الإسلام ، وحصل فى عهدهم كثير من الفتوحات العظيمة ومنها : فتح القسطنطينية عاصمة الروم وهو تهيئة للفتح العظيم آخر الزمان قبل ظهور الدجال كما سيأتى ودخل الإسلام إلى أوروبا ،=

= بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار العيون حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له : دجلة ، فيتفرق المسلمون ثلاث فرق : فأما فرقة فيأخذون بأذناب الإبل وتلحق بالبادية وهلكت ، وأما فرقة فتأخذ على أنفسها فكفرت ، فهذه وتلك سواء ، وأما فرقة فيجعلون عيالهم خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلاهم شهداء ، ويفتح اللَّه على بقيتها .

وروى الطبرانى فى الكبير [١٠٣٨٩/١٨١/١٠] عن عبد اللَّه بن مسعود رضى اللَّه تعالى عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتى مُلْكَهُمْ وما خَوَّلَهُمُ اللَّه بَنُو قَنْطُوراء » .

قال ابن الأثير فى النهاية [١١٣/٤] قيل : إن قنطوراء كانت جارية=

= وكثير من البلدان فى الشرق والغرب ، وهذا مصداق لما قاله المصطفى ﷺ كما جاء فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بعد ذكره ﷺ لقتال الترك قال : « وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه ، والناس معادن : خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام »[1] .

ooo

= لإبراهيم الخليل عليه السلام ولدت له أولادًا منهم الترك والصين .

(١) أخرجه البخارى [٦٠٤/٦] . وانظر أشراط الساعة [ص : ٩٨] .

نار الحجاز التى أضاءت أعناق الإبل ببصرى

روى البخارى عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى »[1] .

قال السيد على نور الدين السمهودى فى تاريخ المدينة : وقد ظهرت هذه النار وأقبلت من قبل المدينة مما يلى المشرق فى جهة طريق السوارقية وهى جهة بلاد بنى سليم ، قال البدر بن فرحون : سالت هذه النار فى وادى أحيلين .

وقال القطب القسطلانى : ظهرت فى جهة المشرق على مرحلة متوسطة من المدينة فى موضع يقال له قاع الهيلى قرب مساكن قريظة بينها وبين أحيلين ثم امتدت آخذة فى المشرق إلى قريب من أحيلين وتقدمها زلازل مهولة أياماً وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

قال النووى : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل=

(١) أخرجه البخارى [٧١١٨] ، ومسلم [٢٩٠٢/٤٢] ، وابن حبان فى صحيحه [٦٨٣٩] . وهذه النار ليست هى النار التى تخرج فى آخر الزمان تحشر الناس إلى محشرهم .

= الشام ، قال السمهودى : وكانت فى زمنه ، وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، لكنها كانت خفيفة فلم يدركها بعضهم مع تكررها ، واشتدت فى يوم الثلاثاء وظهرت ظهوراً عظيماً ثم فى ليلة الأربعاء ثالث الشهر فى الثلث الأخير من الليل حدثت زلزلة عظيمة جداً اشفق الناس منها ، واستمرت تزلزل بقية الليل ، ثم إلى يوم الجمعة ، ولها دوىّ أعظم من الرعد ، فتموج الأرض وتتحرك الجدران ، حتى وقع فى يوم واحد دون ليلته ثمانى عشرة حركة على ما حكاه القطب القسطلانى فى كتاب أفرده لهذه النار وكانت فى زمنه وهو بمكة .

وقال القرطبى : وقد خرجت نار بالحجاز بالمدينة الشريفة وكان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة واستمرت إلى ضحى يوم الجمعة فسكنت وظهرت ، أى : النار - قال : وكانت ترى بصفة البلد العظيمة عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك مثل النار أحمر وأزرق له دوىّ كدوى الرعد يأخذ الصخور بين يديه واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم . فانتهت النار إلى قرب =

= المدينة ، ومع ذلك فكان يأتى المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر ، وقال لى بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة فى الهواء من نحو خمسة أيام وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بُصرى .

وقال ابن كثير : أخبرنى قاضى القضاة صدر الدين الحنفى ، قال : أخبرنى والدى الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بُصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب صبيحة الليلة التى ظهرت فيها هذه النار ، أنهم رأوا صفحات أعناق إبلهم فى ضوء تلك النار فظهر أنها الموعود بها وتمت بذلك المعجزة لحصول ما أخبر به ﷺ ، وإنارتها بهذه الأماكن البعيدة ليتم الإنذار ، واختصاص ظهورها بيوم الجمعة لا يخفى وكانت نعمة فى صورة نقمة ، فوجلت القلوب منها ، وأشفقت . وأعتق أمير المدينة عز الدين منيف بن شيحة جميع مماليكه ، وردَّ على الناس مظالمهم وأبطل المكس .

○ ○ ○

خروج دجالين كذابين

عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون ، كلهم يزعم أنه نبى ، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى »(١) .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة ، ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله »(٢).

(١) رواه أبو داود [٤٢٥٢] ، وصححه الألبانى فى صحيح أبى داود [٣٥٧٧] . وصحيح ابن ماجه [٣٩٥٢] .

(٢) أخرجه البخارى [٣٦٠٩] .

قال ابن حجر فى الفتح : قوله : « حتى يبعث » بضم أوله ، أى : يخرج ، وليس المراد بالبعث معنى الإرسال المقارن للنبوة ، بل هو كقوله تعالى : ﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [مريم : ٨٣] .

وقوله : « دجالون كذابون » الدجل : التغطية والتمويه ، ويطلق على الكذب أيضًا ، فعلى هذا « كذابون » تأكيد .

وقوله : « قريبًا من ثلاثين » كذا وقع بالنصب وهو على الحال من =

....

= وقد أخرج مسلم من حديث جابر بن سمرة الجزم بالعدد المذكور بلفظ : « إن بين يدى الساعة ثلاثين كذابًا رجالًا كلهم يزعم أنه نبى » .

وروى أبو يعلى بإسناد حسن عن عبد اللّٰه بن الزبير تسمية بعض الكذابين المذكورين بلفظ : « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا منهم مسيلمة والعنسى والمختار » .

قلت : وقد ظهر مصداق ذلك فى آخر زمن النبى ﷺ فخرج مسيلمة باليمامة ، والأسود العنسى باليمن ، ثم خرج فى خلافة أبى بكر طليحة بن خويلد فى بنى أسد بن خزيمة ، وسجاح التميمية فى بنى تميم ، وفيها يقول شبيب بن ربعى وكان مؤدبها :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

وقتل الأَسود قبل أن يموت النبى ﷺ ، وقتل مسيلمة فى خلافة أبى بكر ، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح فى خلافة عمر ، ونقل أن سجاح أيضًا تابت ، وأخبار هؤلاء مشهورة عند الإخباريين . ثم كان أول من خرج منهم المختار بن أبى عبيد الثقفى ، غلب على الكوفة فى أول=

= النكرة الموصوفة ، ووقع فى رواية أحمد « قريب » بالرفع على الصفة .

= خلافة ابن الزبير ، فأظهر محبة أهل البيت ، ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين ، فتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك أو أعان عليه فأحبه الناس ، ثم زين له الشيطان أن ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه .

فروى أبو داود الطيالسى بإسناد صحيح عن رفاعة بن شداد قال : « كنتُ أُبطن شيئًا بالمختار فدخلت عليه يومًا فقال : دخلت وقد قام جبريل قبل من هذا الكرسى » .

وروى يعقوب بن سفيان بإسناد حسن عن الشعبى أن الأحنف بن قيس أراه كتاب المختار إليه يذكر أنه نبى .

وروى أبو داود فى السنن من طريق إبراهيم النخعى قال : قلت لعبيدة بن عمرو : أترى المختار منهم ؟ قال : أما إنه من الرؤوس . وقتل المختار سنة بضع وستين . ومنهم الحارث الكذاب خرج فى خلافة عبد الملك بن مروان فقتل .

وخرج فى خلافة بنى العباس جماعة . وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقًا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ لهم ذلك عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت له شوكة وبدت له شبهة كمن وصفنا ، وقد أهلك اللّه تعالى من وقع له ذلك منهم وبقى منهم من يلحقه بأصحابه =

....

= وآخرهم الدجال الأكبر(١).

وقال : وقوله ﷺ : « حتى يقتتل فئتان » قال ابن حجر : المراد بالفئتين عليّ ومن معه ، ومعاوية ومن معه ، ويؤخذ من تسميتهم مسلمين . ومن قوله دعوتهما واحدة الرد على الخوارج ومن تبعهم فى تكفيرهم كلا من الطائفتين ، ودل حديث : « تقتل عمارا الفئة الباغية » على أن عليًا كان المصيب فى تلك الحرب لأن أصحاب معاوية قتلوه .

وقد أخرج البزار بسند جيد عن زيد بن وهب قال : كنا عند حذيفة فقال : كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ؟ قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : انظروا الفرقة التى تدعو إلى أمر عليّ فالزموها فإنها على الحق .

وأخرج يعقوب بن سفيان بسند جيد عن الزهرى قال : لما بلغ معاوية غلبة عليّ على أهل الجمل دعا إلى الطلب بدم عثمان فأجابه أهل الشام فسار إليه عليّ فالتقيا بصفين ، وقد ذكر يحيى بن سليمان الجعفى أحد شيوخ البخارى فى «كتاب صفين » فى تأليفه بسند جيد عن أبى مسلم الخولانى أنه =

(١) فتح البارى [٣٢٤،٣٢٣/٧] .

....

= قال لمعاوية : أنت تنازع عليًا فى الخلافة أو أنت مثله ؟ قال : لا ، وإنى لأعلم أنه أفضل منى وأحق بالأمر ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلومًا وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ؟ فأتوا عليًا فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان ، فأتوه فكلموه فقال : يدخل فى البيعة ويحاكمهم إلىّ ، فامتنع معاوية فسار علىّ فى الجيوش من العراق حتى نزل بصفين ، وسار معاوية حتى نزل هناك وذلك فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ، فتراسلوا فلم يتم لهم أمر ، فوقع القتال إلى أن قتل من الفريقين فيما ذكر ابن أبى خيثمة فى تاريخه نحو سبعين ألفًا ، وقيل كانوا أكثر من ذلك ، ويقال كان بينهم أكثر من سبعين زحفًا .

وأخرج ابن أبى شيبة بسند صحيح عن أبى الرضا سمعت عماراً يوم صفين يقول : من سره أن يكتنفه الحور العين فليتقدم بين الصفين محتسبًا .

ومن طريق زياد بن الحارث : كنت إلى جنب عمار فقال رجل : كفر أهل الشام ، فقال عمار : لا تقولوا ذلك نبينا واحد ، ولكنهم قوم حادوا عن الحق فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا .

وذكر ابن سعد أن عثمان لما قتل وبويع علىّ أشار ابن عباس=

= عليه أن يقر معاوية على الشام حتى يأخذ له البيعة ثم يفعل فيه ما شاء ، فامتنع ، فبلغ ذلك معاوية .

فقال : واللّٰه لا ألى له شيئًا أبدًا . فلما فرغ على من أهل الجمل أرسل جرير بن عبد اللّٰه البجلى إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس فامتنع ، وأرسل أبا مسلم كما تقدم فلم ينتظم الأمر ، وسار علىّ فى الجنود إلى جهة معاوية فالتقيا بصفين فى العشر الأول من المحرم وأول ما اقتتلوا فى غرة صفر ، فلما كاد أهل الشام أن يُغلبوا رفعوا المصاحف بمشورة عمرو بن العاص ودعوا إلى ما فيها ، فآل الأمر إلى الحكمين فجرى ما جرى من اختلافهما واستبداد معاوية بملك الشام واشتغال علىّ بالخوارج .

وعند أحمد من طريق حبيب بن أبى ثابت : أتيت أبا وائل فقال : كنا بصفين ، فلما استحر القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية : أرسل إلى علىّ المصحف فادعه إلى كتاب اللّٰه فإنه لا يأبى عليك ، فجاء به رجل فقال : بيننا وبينكم كتاب اللّٰه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] فقال علىّ نعم أنا أولى بذلك ، فقال القراء الذين صاروا بعد=

= قال الحافظ ابن حجر : يحتمل أن يكون ما ذكر من الثلاثين أو نحوها يدعون النبوة ومن زاد عليهم كما فى رواية أو أكثر ، ورواية سبعون يدعون إلى الضلالة كغلاة الرافضة والباطنية والحلولية وسائر الفرق الدعاة إلى ما يعلم بالضرورة أنه خلاف ما جاء به رسول الله ﷺ .

وقد خرج فى زمن أبى بكر رضى الله تعالى عنه : طليحة بن خويلد الأسدى وادعى النبوة ثم تاب ورجع إلى الإسلام وكان ابتداء دعواه فى زمن النبى ﷺ . وتنبأت سجاح ، وخرج مختار فى زمن ابن الزبير وعبد الملك فإنه كان يدعى أنه يوحى إليه ويكتب في مكاتيبه من مختار رسول الله وقد ورد تحذير النبى ﷺ أمته من مختار المذكور على التعيين بذكر أوصافه فى حديث رواه الطبرانى عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى=

= ذلك خوارج : يا أمير المؤمنين ما ننظر بهؤلاء القوم إلا نمشى عليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا ؟ فقال سهل بن حنيف : يا أيها الناس اتهموا أنفسكم فقد رأيتنا يوم الحديبية ، فذكر قصة الصلح مع المشركين .

فتح البارى [١٣/٨٥،٨٦] .

= اللّه تعالى عنهما عن النبى ﷺ : « يخرج فى ثقيف كذاب ومبير »[1] فأما الكذاب فقد رأيناه تعنى مختار ، وأما المبير فأنت الحجاج ابن يوسف الثقفى .

وخرج المتنبى الشاعر المشهور ثم تاب . وخرج جماعة فى زمن بنى العباس منهم فى أيام المعتمد قائد فتنة الزنج بهبود لعنه اللّه الذى أفسد فى العراق وأهان آل الرسول ﷺ ، كان يدعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات .

وفى خلافة المكتفى خرج يحيى بن ذكرويه القرمطى . ثم بعده أخوه الحسين وأظهر شامة فى وجهه وزعم أنها آيته .

وجاء ابن عمه عيسى بن مهرويه وزعم أن لقبه المدثر وأنه المعنى فى السورة ولقب غلاماً له المطوق بالنور ، وظهر على الشام وعاث وأفسد ودعى له على المنابر ثم قتل إلى لعنة اللّه .

وخرج المقتدر أبو طاهر القرمطى .

وفى خلافة الراضى ظهر محمد بن على المعروف ابن أبى العراق وقد شاع عنه أنه يدعى الألوهية وأنه يحيى الموتى ، فقتل وصلب وقتل معه جماعة من أصحابه .

وظهر فى خلافة المطيع قوم من التناسخية فيهم شاب يزعم =

(١) رواه الطبرانى فى الكبير [٢٧٣/١/٢٤] .

....

= أن روح عليّ انتقلت إليه وامرأته تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها . وآخر يدعى أنه جبريل ، فضربوا فتعززوا بالانتماء إلى أهل البيت فأمر معز الدولة بإطلاقهم .

وفي خلافة المستظهر في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق فأخذ وقتل .

وخرج جماعة بالمغرب من الرجال والنساء فمنهم رجل يسمى : « لا » وحرف الحديث المشهور : « لا نبي بعدى » وجعله إخباراً منه ﷺ بأن « لا » أى : صاحب هذا الاسم نبي بعدى ، ويقول : إن « لا » في الحديث مبتدأ وخبرها « نبي » !

وامرأة ادعت النبوة ، فذكروا لها الحديث ، فقالت : إنما قال : « لا نبي » ولم يقل : لا نبية . والحاصل أن عدد سبع وعشرين قد تم أو كاد أن يتم وأما مطلق الكذابين فلا حصر لهم[1] .

(١) روى أحمد في المسند [٥/٣٩٦] عن حذيفة رضى الله تعالى عنه : أن نبي الله ﷺ قال : « في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة وأني خاتم النبيين لا نبي بعدى » .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد [٧/٣٣٢] رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط والبزار ، ورجال البزار رجال الصحيح .

ومن هذا القسم من يدعى أنه مهدى وهؤلاء كثيرون أيضاً .
ومنهم من ادعى أنه صحابى رأى النبى ﷺ ، كالمعمر المشهور والرتن الهندى ولا شك أن ما أخبر به الصادق لصادق وأن الدين لواقع .

○ ○ ○

فتح المدائن

قال عدى بن حاتم رضى اللّه تعالى عنه : لما بلغنى خروج رسول اللّه ﷺ فكرهت خروجه كراهة شديدة خرجت حتى وقعت ناحية الروم .

وقال: يعنى يريد بغداد حتى قدمت على قيصر .

قال : فكرهت مكانى ذلك أشد من كراهيتى لخروجه .

قال : فقلت : واللّه لولا أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبًا لم يضرنى وإن كان صادقًا علمت .

قال : فقدمت فأتيته ، فلما قدمت قال الناس عدى بن حاتم .. عدى بن حاتم !

قال : فدخلت على رسول اللّه ﷺ فقال لى :

« يا عدى بن حاتم أَسلم تسلم ثلاثًا » .

قال : قلت : إنى على دين .

قال : « أنا أعلم بدينك منك » .

فقلت : أنت أعلم بدينى منى ؟!

قال : « نعم ألست من الركوسية وأنت تأكل مرباع قومك » .

قلت : بلى . =

= قال : فإن هذا لا يحل لك فى دينك .
قال : فلم يعد أن قالها فتواضعت لها .
فقال : أما إنى أعلم ما الذى يمنعك من الإسلام تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب . أتعرف الحيرة ؟
قلت: لم أرها وقد سمعت بها .
قال : فوالذى نفسى بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت فى غير جوار أحد وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز .
قال : قلت كسرى بن هرمز ؟
قال : نعم كسرى بن هرمز . وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد .
قال عدى بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت فى غير جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذى نفسى بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قد قالها [1] .
وذكر الإمام الذهبى فى : « السير » حوادث سنة ست عشرة قال :
وقال الطبرى : فيها دخل المسلمون مدينة بَهُرَسِير وافتتحوا=

---

(1) رواه أحمد فى المسند [٤/٢٥٧] .

= المدائن ، فهرب منها يَزْدَجِرد بن شَهرَيار .

فلما نزل سعد بن أبى وقاص بهُرَشير - وهى المدينة التى فيها منزل كِسرَى - طلب السُّفُنَ ليعبر بالناس إلى المدينة القُصوَى ، فلم يقدر على شىء منها ، وجدهم قد ضموا السفن ، فبقى أيامًا حتى أتاه أعلاجٌ فدلوه على مَخَاضةٍ ، فأبى ، ثم إنه عُزِمَ له أن يقتحم دجلة ، فاقتحمها المسلمون وهى زائدة تَرْمى بالزَّبَد ، ففجِىء أهل فارس أمرًا لم يكن لهم فى حساب ، فقاتلوا ساعةً ثم انهزموا وتركوا جُمهور أموالهم ، واستولى المسلمون على ذلك كُلِّه ، ثم أتوا إلى القصر الأبيض ، وبه قوم قد تَحَصَّنُوا ثم صالحوا وقيل : إن الفُرسَ لما رأوا اقتحام المسلمين الماء تَـحَيَّرُوا ، وقالوا : والله ما نقاتل الإنس ولا نقاتل إلا الجن ، فانهزموا .

ونزل سعد القصرَ الأبيض ، واتخذَ الإيوان مُصَلًّى ، وإن فيه لَتَماثيل جَصٍّ فما حركها . ولما انتهى إلى مكان كِسرَى أخذ يقرأ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ ... ﴿٢٦﴾ ﴾ [الدخان] .

قالوا : وأتم سعد الصلاة يوم دخلها ، وذلك أنه أراد المقام بها ، وكانت أول جمعة جُمِعت بالعراق ، وذلك فى صفر سنة ست عشرة .

قال الطبرى : قسم سعد الفَىءَ بعدما خَمَّسَه ، فأصاب =

= الفارس اثنا عشر ألفًا ، وكل الجيش كانوا فرسانًا .

وقسَّمَ سعد دُور المدائن بين الناس وأُوطِنُوها ، وجمع سعد الخُمسَ وأدخل فيه كل شيء من ثياب كسرى وحُلِيِّه وسيفه ، وقال للمسلمين : هل لكم أن تطيب أنفسُكم عن أربعة أخماس هذا القَطْف فنبعث به إلى عمر ، فيضعه حيث يرى ويقع من أهل المدينة موقعًا ؟ قالوا : نعم ، فبعثه على هيئته . وكان ستين ذراعًا فى ستين ذراعًا بساطًا واحدًا مقدار جريب ، فيه طُرُقٌ كالصور ، وفصوص كالأنهار ، وخلال ذلك كالدُّر ، وفى حافاته كالأرض المزروعة ، والأرض كالـمُبْقِلَة بالنبات فى الربيع من الحرير على قصبات الذهب . ونوَّاره بالذهب والفضة ونحوه . فقطعه عمرُ وقَسَّمَه بين الناس . فأصاب عليًّا قطعةٌ منه فباعها بعشرين ألفًا .

واستولى المسلمون فى ثلاثة أعوام على كرسيِّ مملكة كِسْرى ، وعلى كرسى مملكة قيصر ، وعلى أُمَّى بلادِهما . وغنم المسلمون غنائم لم يُسمع بمثلها قط من الذهب والجوهر والحرير والرقيق والمدائن والقصور . فسبحان الله العظيم الفتاح . وكان لكسرى وقيصر ومن قبلهما من الملوك فى دولتهم دهر طويل ؛ فأمّا الأكاسرة والفُرس وهم المجوس فملكوا العراق=

= والعجم نحواً من خمسمائة سنة ، فأولُ ملوكهم دارًا ، وطال عمره فيقال إنه بقي فى الملك مائتى سنة ، وعدة ملوكهم خمسة وعشرون نفسًا ، منهم امرأتان ، وكان آخر القوم يَزْدَجرد الذى هلك فى زمن عثمان ، وممَّن ملك منهم ذو الأكتاف سابور ، عُقِد له بالأمر وهو فى بطن أمه ، لأن أباه مات وهو حَمْل ، فقال الكُهَّانُ : هذا يملك الأرض ، فوُضِع التاج على بطن الأم ، وكُتِب منه إلى الآفاق وهو بعد جنين ، وهذا شيء لم يُسمع بمثله قط ، وإنما لُقِّب بذى الأكتاف لأنه كان ينزع أكتاف من غضب عليه ، وهو الذى بنى الإيوان الأعظم وبنى نَيْسَابُور وبنى سِجِستان .

ومن متأخرى ملوكهم أنوشروان ، وكان حازمًا عاقلًا ، كان له اثنتا عشرة ألف امرأة وسُرِّيَّة ، وخمسون ألف دابة ، وألف فيل إلا واحدًا ، وولد نبيُّنا ﷺ فى زمانه ، ثم مات أنوشروان وقت مَوْت عبد المطلب ، ولما استولى الصحابة على الإيوان أحرقوا ستره ، فطلع منه ألف ألف مثقال ذَهَبًا (١).

---

(١) مجلد سير الخلفاء الراشدين [ص ١١٤ : ١١٦] ، من سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبى .

فتح بيت المقدس

ومنها : فتح بيت المقدس ، كما ورد فى الحديث عن عوف بن مالك رضى اللَّه تعالى عنه ، أنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « اعدُدْ ستًا بين يدى الساعة » فذكر منها : « فتح بين المقدس »[1] .

وروى الإمام أحمد فى المسند عن عبيد اللَّه بن آدم قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب : أين تُرَى أن أُصلى ؟ فقال : إن أخذتَ عنى صليتَ خلفَ الصخرة فكانت القُدس كلها بين يديك ! فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أُصلى حيث صلَّى رسول اللَّه ﷺ ، فتقدَّم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبَسط رداءه ، فكنس الكُناسة فى ردائه وكَنَس الناسُ »[1] .

وقد فتح مرتين مرة فى زمن عمر رضى اللَّه عنه ، ومرة فتحه صلاح الدين الأيوبى رحمة اللَّه تعالى عليه .

---

(١) أخرجه البخارى [٣١٧٦] .

(٢) رواه أحمد فى المسند [١/٣٨] وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده حسن .

زوال مُلك العرب

هلاك العرب ، يعنى زوال ملكهم . روى الترمذى عن محمد بن أبى رزين ، عن أمه قالت : كانت أم الحرير إذا مات أحد من العرب اشتد عليها ، فقيل لها : إنك نراك إذا مات رجل من العرب اشتد عليك ، قالت : سمعت مولاى يقول : قال رسول الله ﷺ : « من اقتراب الساعة هلاك العرب »(١) .

قال محمد بن أبى رزين : ومولاها طلحة بن مالك .

قال صاحب تحفة الأحوذى :

قوله : « من اقتراب الساعة ، أى : من علامات قرب القيامة . « هلاك العرب » أى : مسلمهم ، أو جنسهم ، وفيه إيماء إلى أن غيرهم تابع لهم ، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس(٢) ، بل ولا يكون فى الأرض من يقول الله . كذا فى المرقاة (٣) .

---

(١) رواه الترمذى [٣٩٢٩] وقال : هذا حديث غريب ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الترمذى [٨٢٥] .

وقال النبهانى فى حجة الله على العالمين : وقد زال ملك العرب بزوال الملك عن بنى العباس .

(٢) أخرج مسلم [٢٩٤٩] عن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » .

(٣) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى [٤٣٠/١٠] .

كثرة المال وفيضه

....

عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه ، عن النبى ﷺ قال : « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه »[1] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه ، فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب لى »[2] .

قال ابن حجر فى الفتح : قوله : « فيكم » يشعر بأنه محمول على زمن الصحابة فيكون إشارة إلى ما وقع من الفتوح واقتسامهم أموال الفرس والروم ويكون قوله : « فيفيض حتى يهم رب المال » إشارة إلى ما وقع فى زمن عمر بن عبد العزيز فقد تقدم أنه وقع فى زمنه أن الرجل كان يعرض ماله للصدقة فلا يجد من يقبل صدقته . ويكون قوله : « وحتى يعرضه =

(١) أخرجه مسلم [١٠١٢/٥٩]

(٢) رواه البخارى [١٤١٢] ، ومسلم [١٥٧/٦١] كتاب الزكاة باب الترغيب فى الصدقة قبل أن يوجد من يقبلها .

= فيقول الذى يعرضه عليه ، لا أرب لى به » إشارة إلى ما سيقع فى زمن عيسى بن مريم . فيكون فى هذا الحديث إشارة إلى ثلاثة أحوال :

الأولى : إلى كثرة المال فقط وقد كان ذلك فى زمن الصحابة ومن ثم قيل فيه : « يكثر فيكم » وقد وقع فى حديث عوف بن مالك الذى مضى فى « كتاب الجزية » ذكر علامة أخرى مباينة لعلامة الحالة الثانية فى حديث عوف بن مالك رفعه : « اعدد ستًا بين يدى الساعة : موتى ، ثم فتح بيت المقدس ، وموتان ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل منه مائة دينار فيظل ساخطًا » الحديث . وقد أشرت إلى شىء من هذا عند شرحه .

الحالة الثانية : الإشارة إلى فيضه من الكثرة بحيث أن يحصل استغناء كل أحد عن أخذ مال غيره ، وكان ذلك فى آخر عصر الصحابة وأول عصر من بعدهم ومن ثم قيل : « يهم رب المال » وذلك ينطبق على ما وقع فى زمن عمر بن عبد العزيز .

الحالة الثالثة : فيه الإشارة إلى فيضه وحصول الاستغناء لكل أحد حتى يهتم صاحب المال بكونه لا يجد من يقبل صدقته ويزداد بأنه يعرضه على غيره ولو كان ممن لا يستحق الصدقة=

....

= فيأبى أخذه فيقول لا حاجة لى فيه ؛ وهذا فى زمن عيسى عليه السلام . ويحتمل أن يكون هذا الأخير خروج النار واشتغال الناس بأمر الحشر فلا يلتفت أحد حينئذ إلى المال بل يقصد أن يتخفف ما استطاع[1] .

○ ○ ○

(١) فتح البارى [١٤/٥٩٧] .

زوال الجبال عن أماكنها

روى الطبرانى عن سمرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التى لم تكونوا ترونها »[1].

ونقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء أنه فى سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين فى خلافة المتوكل(*) زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها ، والرى ، وخراسان ، ونيسابور ، وطبرستان ، وأصبهان ، وتقطعت الجبال ، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل=

(١) رواه الطبرانى فى الكبير [٦٨٥٧/٢٠٧/٧] وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٣٢٦/٧] وقال : فيه عفير بن معدن وهو ضعيف .

(*) المتوكل على الله : جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة خمس ، وقيل : سبع ومائتين ، وبويع له فى ذى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين ، بعد الواثق ، فأظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ، ورفع المحنة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وذلك فى سنة أربع وثلاثين ومائتين . قتله ابنه المنتصر بالاتفاق مع الأتراك فى الخامس من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

= الرجل فى الشق ، ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ، ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال ، وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين[1] .

وفى سنة ثلاثمائة فى خلافة المقتدر(*) ساخ جبل بالدينور فى الأرض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى[2] .

○ ○ ○

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٠٨] .

(*) المقتدر بالله : أبو الفضل جعفر بن المعتضد ، ولد فى رمضان سنة اثنين وثمانين ومائتين ، ولى الخلافة وله ثلاث عشرة سنة ، قال الذهبى : اختل النظام كثيراً فى أيام المقتدر لصغره ، قتل يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٤١] .

وقوع ثلاثة خسوف

خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف فى جزيرة العرب

....

روى عن أم سلمة رضى اللّه تعالى عنها : قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « سيكون بعدى خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف فى جزيرة العرب ، فقالت : يا رسول اللّه يخسف بالأرض وفيهم الصالحون ، فقال لها رسول اللّه ﷺ : « إذا كان أكثر أهلها الخبث »(١) .

وعن عائشة رضى اللّه تعالى عنها قالت : قال رسول اللّه ﷺ : « يكون فى آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف » قالت : قلت يا رسول اللّه : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ؛ إذا ظهر الخبث »(٢) .

وعن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى اللّه تعالى عنه ، قال اطلع=

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير [٢٣/٢٧١/٥٨٠] وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد [٨/١١] - بعد أن نسبه للأوسط فقط - وفيه حكيم بن نافع وثقه ابن معين وضعفه غيره .

(٢) رواه الترمذى [٢١٨٥] ، وصححه الألبانى فى صحيح الترمذى [١٧٧٦] .

= النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال : « ما تذاكرون ؟ » قالوا : نذكر الساعة ، قال : « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » .

فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم »[1] .

وقد وقعت الخسوفات الثلاثة : فوقع فى سنة ثمان ومائتين أنه خسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب .

وفى خلافة المطيع(*) فى سنة ست وأربعين وثلاثمائة وقع بالرى ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد الطالقان ولم يفلت من=

(١) أخرجه مسلم [٢٩٠١/٣٩] ، وأبو داود [٤٣١١] ، والترمذى [٢١٨٣] ، وابن ماجه [٤٠٤١] .

(*) المطيع لله : أبو القاسم ، الفضل بن المقتدر بن المعتضد ، ولد سنة إحدى وثلاثمائة ، وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفى فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وفى سنة ثلاث وستين ، حصل للمطيع فالج ، وثقل لسانه فدعاه حاجب عز الدولة سبكتكين إلى خلع نفسه ، وتسليم الأمر إلى ولده =

= أهلها إلا نحو ثلاثين رجلًا .

وخسف بمائة وخمسين قرية من قرى الرى واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها وقذفت الأرض عظام الموتى ، وتفجرت منها المياه ، وتقطع بالرى جبل وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ، ثم خُسف بها ، وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة ، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم[(١)] .

وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة خسف بقرية من أعمال بصرى .

وفى سنة ثلاثة وثلاثين وخمسمائة خسف ببلد بحيرة وصار مكان البلد ماء أسود .

قال البرزنجى[(٢)] : وخسف فى زماننا بست قرى من ناحية أزربيجان وغيرها من ديار العجم .

= الطائع لله ، ففعل وكانت مدة خلافته تسعًا وعشرين سنة وأشهرًا ، وصار يسمى بعد خلعه الشيخ الفاضل ، مات بواسط فى المحرم سنة أربع وستين .

تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٦١/٤٦٨] .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٦٣] وقال : هكذا نقل ابن الجوزى .

(٢) مؤلف كتاب : « الإشاعة فى أشراط الساعة » .

وقوع مسخ وقذف

....

روى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ قال : « يكون فى هذه الأمة ، أو فى أمتى – الشك منه – خسف ، أو مسخ ، أو قذف فى أهل القدر »[1] .

وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول : يكون فى آخر أمتى خسف ومسخ وقذف[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يكون فى أمتى خسف ومسخ وقذف[3] .

الخسف قد سبق ، أما المسخ ، فقد ذكر ابن حجر الهيتمى فى كتابه الزواجر أنه : كان بحلب رجل سباب للشيخين فلما مات اتفق شباب على أن ينبشوا قبره فلما نبشوه رأوه قد مسخ خنزيراً فأخرجوه ثم أحرقوه بالنار . =

(١) رواه الترمذى [٢١٥٢] وابن ماجه [٤٠٦١] ، وحسنه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٢٨٢] .

(٢) رواه ابن ماجه [٤٠٦٠] . وصححه الألبانى فى صحيح ابن ماجه [٣٢٨٢] .

(٣) رواه ابن حبان [٦٧٥٩] . وقال الأرناؤوط إسناده حسن .

= وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء أنه فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة فى خلافة المتوكل(*) سادس الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماماً قام يصلى وأن شخصاً عبث به فى صلاته فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين سلم انقلب وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هناك وكتب بذلك محضر(١) .

وأما القذف فقد نقل السيوطى فى تاريخ الخلفاء أنه في سنة خمس وثمانين ومائتين مطرت قرية بالبصرة حجارة سوداً وبيضاً ووقع بَرَد وزن البرَدة مائة وخمسون درهماً .

وفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين رجمت قرية السويداء بالحجارة ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال .

وفى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة فى خلافة المقتدى(**) جاءت=

(*) المتوكل : تقدمت ترجمته .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٥٧٢] .

(**) المقتدى بأمر اللّه : أبو القاسم عبد اللّه بن محمد بن القائم بأمر اللّه مات أبوه فى حياة القاسم – وهو حَمْلٌ – فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر وبويع له بالخلافة عند موت جده ، وله تسع عشرة=

= ريح سوداء ببغداد بعد العشاء واشتد الرعد والبرق وسقط رمل وتراب كالمطر ، ووقعت عدة صواعق فى كثير من البلاد فظن الناس أنها القيامة [1] .

قال البرزنجى : وأخبرنى ثقة أنه فى سنة نيف وستين بعد الألف أمطرت حجارة سود كثيرة عريضة قدر بيضة الدجاج وأكبر ، فى الصيف والسماء مصحية ببلاد الأكراد بين هيزان وكفرة ، وكانوا يسمعون لها حساً من مسافة يوم ، والله يفعل ما يشاء .

○ ○ ○

= سنة وثلاثة أشهر ، خرج عليه أخوه بركياروق ابن ملكشاه ، فقلده الخليفة فى المحرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٨٨] وقال السيوطى بعدها : وقد شاهد هذه الطائفة الإمام أبو بكر الطرطوسى وأوردها فى أماليه .

كثرة الزلازل ، والقتل ، والرجف ، وتقارب الزمان

روى البخارى عن أبى هريرة رضى اللّٰه تعالى عنه قال ، قال رسول اللّٰه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج – وهو القتل – حتى يكثر فيكم المال فيفيض »[1].

قال ابن حجر فى الفتح : لما كان هبوب الريح الشديدة يوجب التخوف المفضى إلى الخشوع والإنابة كانت الزلزلة ونحوها من الآيات أولى بذلك ، لا سيما وقد نص فى الخبر على أن أكثر الزلازل من أشراط الساعة .

واختلف فى قوله : « يتقارب الزمان » فقيل على ظاهره فلا يظهر التفاوت فى الليل والنهار بالقصر والطول .

وقيل : المراد قرب يوم القيامة .

وقيل : تذهب البركة فيذهب اليوم والليلة بسرعة .

وقيل : المراد يتقارب أهل ذلك الزمان فى الشر وعدم الخير

وقيل : تتقارب صدور الدول و[لا] تطول مدة أحد لكثرة الفتن .

وقال النووى فى شرح قوله : « حتى يقترب الزمان » معناه :=

(١) أخرجه البخارى [١٠٣٦] .

= حتى تقرب القيامة ، ووهاه الكرمانى وقال هو من تحصيل الحاصل ، وليس كما قال بل معناه : قرب الزمان العام من الزمان الخاص وهو يوم القيامة ، وعند قربه يقع ما ذكر من الأمور المنكرة [1] .

وعند ابن عساكر عن عروة بن رويم الأنصارى ، عن النبى ﷺ قال : « تكون فى أمتى رجفة يهلك فيها عشرة آلاف ، عشرون ألفاً ، ثلاثون ألفاً يجعلهما اللّٰه موعظة للمتقين ، ورحمة للمؤمنين ، وعذاباً للكافرين » .

وقد وقع فى أول خلافة المتوكل(*) سنة اثنتين وثلاثين ومائتين زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها وإلى الجزيرة فأحرقتها وإلى=

---

(١) الأقرب تفسير التقارب المذكور فى الحديث بما وقع فى هذا العصر من تقارب بين المدن والأقاليم ، وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك . واللّٰه تعالى أعلم . وكلمة : [لا] إضافة يقتضيها السياق .

(*) المتوكل على اللّٰه : جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، تقدمت ترجمته .

= الموصل . فيقال : هلك من أهلها خمسون ألفاً [1].

وفى سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها ، والرى ، وخراسان ، ونيسابور ، وطبرستان ، وأصبهان ، وتقطعت جبال وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل فى الشق [2] .

وفى سنة خمس وأربعين ومائتين عمت الزلازل الدنيا فأخربت المدن والقلاع والقناطر وسقط من أنطاكية جبل فى البحر . وسمع من السماء أصوات هائلة ، وزلزلت مصر وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر صيحة هائلة فمات خلق من أهل بلبيس وغارت عيون مكة [3] .

وفى خلافة المعتضد(*) سنة مائتين وثمانين وقعت فى الدبيل=

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٠٧] .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٠٨] .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٠٩] .

(*) المعتضد بالله : أحمد ، أبو العباس ، ابن ولى العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد فى ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وبويع له فى رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد عمه المعتمد ، مات يوم الإثنين لثمان بقين من =

= زلزلة عظيمة هدمت عامة البلد فكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة ألف وخمسين ألفاً [(١)].

وفى سنة أربعمائة وستين وقع بالرملة زلزلة هائلة خربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون فرجع الماء عليهم فأهلكهم .

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقعت زلزلة عظيمة وماجت بغداد نحو عشر مرات وتقطع منها جبل بحلوان .

وفى سنة سبع وتسعين وخمسائة جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً متعددة .

وفى سنة اثنتين وستين وستمائة زلزلت مصر زلزلة عظيمة .

ووقعت فى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة زلزلة عظيمة فى بخارى عشرة فراسخ فى مثلها فأهلكت خلائق كثيرة .

وفى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وقع بأذرنجان زلزلة عظيمة وهلك بسببها عالم كثير . =

= ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [٤٣٢] .

= وفى سنة ألف وقعت ببلدة « لار » زلزلة عظيمة هدمت منها البيوت كلها واندكت بحيث لا يكادون يعرفون محل بيوتهم وكانت قبلها بأيام زلازل صغار فى كل يوم فخرجوا منها فمن خرج نجا ومن لم يخرج هلك فهذه هى الزلازل العظام التى اعتنوا بنقلها فى كتب التواريخ وأما الزلازل الصغار فلا تكاد تنحصر . والله يفعل ما يشاء .

○ ○ ○

الريح الحمراء

روى الترمذى عن علىّ ابن أبى طالب وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما ، قالا : قال رسول الله ﷺ : « إذا اتخذ الفىء دولاً ، والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً ، وتعلم لغير دين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات والمعازف ، وشربت الخمور ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فارتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تَتَابَعُ كنظام بال قُطع سلكه فتَتَابعَ »(١) .

فى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين فى أول خلافة المتوكل(*) هبت بالعراق ريح شديدة السموم ، ولم يعهد مثلها ، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد ، وقتلت المسافرين ، ودامت =

---

(١) رواه الترمذى [٢٣٢١] عن علىّ رضى الله تعالى عنه ، و [٢٣٢٢] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وقال : حديث غريب . وضعفهما الألبانى فى ضعيف الترمذى [٣٨٦،٣٨٧] .

(*) المتوكل : تقدمت ترجمته .

= خمسين يوماً واتصلت بهمذان وأحرقت الزرع والمواشى ، واتصلت بالموصل وسنجار ، ومنعت الناس من المعاش فى الأسواق ، ومن المشى فى الطرقات وأهلكت خلقاً عظيماً [(١)].

وفى سنة ثمانين ومائتين فى شوال فى خلافة المعتضد[(*)] ورد كتاب من الديبل : أن القمر كسف فى شوال ، وأن الدنيا أصبحت مظلمة إلى العصر ، فهبت ريح سوداء ، فدامت إلى ثلث الليل وأعقبه ، زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة [(٢)].

وفى سنة خمس وثمانين ومائتين فى خلافته هبت ريح صفراء بالبصرة ثم صارت خضراء ثم صارت سوداء وامتدت فى الأمصار ، ووقع عقبها برد ، وزنة البردة مائة وخمسون درهمًا ، وقلعت الريح . نحو خمسمائة نخلة ، ومطرت قرية حجارة سودًا وبيضًا [(٣)] .

وفى خلافة المقتدى[(**)] جاءت ريح سوداء ببغداد واشتد الرعد=

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٠٧] .

(*) المعتضد بالله تقدمت ترجمته .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٣٢] .

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٣٣] .

(**) المقتدى : تقدمت ترجمته .

= والبرق حتى ظن أنها القيامة [1] .

وفى خلافة المستظهر(*) هبت ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس حتى لا يبصر الرجل يده ونزل على الناس رمل وأيقنوا بالهلاك ثم انجلى قليلاً وعاد إلى الصفرة . وكان ذلك من العصر إلى ما بعد المغرب[2] .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى جمادى الأولى فى خلافة الراضى(**) ، هبت ريح عظيمة ببغداد واسودت الدنيا=

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٨٨] .

(*) المستظهر بالله : أبو العباس أحمد بن المقتدى بالله ولد فى شوال سنة سبعين وأربعمائة ، وبويع له عند موت أبيه وله ست عشرة سنة وشهران ، مات فى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة فى يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول ، فكانت مدته خمسًا وعشرين سنة ، وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة ، وصلى عليه ابنه المسترشد .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٩٤] .

(**) الراضى بالله : أبو العباس محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ولد سنة سبع وتسعين ومائتين ، وبويع له يوم خلع القاهر ، وفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة اعتل الراضى=

= وأظلمت من العصر إلى المغرب[1] .

وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة هبت ريح سوداء مظلمة بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل أحمر ووقع مِنْ الركن اليمانى قطعة .

○ ○ ○

= ومات فى شهر ربيع الآخر وله إحدى وثلاثون سنة ونصف .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٥٤] .

انقطاع طريق الحج

....

عن أبى سعيد رضى اللّه تعالى عنه قال ، قال رسول اللّه ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت »[1] .

وروى عن ابن عمر رضى اللّه تعالى عنهما : عن النبى ﷺ قال: « لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن » .

وهذان كلاهما قد وقع أما انقطاع الحج ففى سنة عشرين وثلاثمائة انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين بسبب فتنة القرامطة [2] .

وفى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة رجع الحج العراقى من الطريق اعترضهم الأصيغر الأعرابى ومنعهم الجواز إلا بالباج فعادوا ولم يحجوا ولا حج أيضاً أهل الشام ولا اليمن إنما حج أهل مصر فقط .

وانقطع فى زمن بنى عثمان من طريق الشام سنين فى زمان الشيخ علوان الحموى . =

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه [٦٧٥٠] وقال الأرناؤوط إسناده صحيح ، وهو فى مسند أبى يعلى [٩٩١] ، ورواه الحاكم فى المستدرك [٤/٤٥٣] ، وعلقه البخارى عن شعبة [١٥٩٤] .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٤٤] .

....

= وأما رفع الحجر ففى خلافة المقتدر(*) وذلك أن المقتدر سير الحاج مع منصور الديلمى إلى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجيج فى المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرح القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه ثم رحلوا وبقى الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة وأعيد فى خلافة المطيع .

وقيل : إنهم لما أخذوه هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلى هَجَر ، فلما أعيد حُمل على قَعُود هزيل فسمن[1] .

قال محمد بن الربيع بن سليمان : كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه ، فعيل صبرى ، وقلت يا رب : ما أحلمك ، فسقط الرجل على دماغه فمات .

وصعد القرمطى المنبر وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلق وأفيهم أنا

ولم يفلح أبو طاهر القرمطى بعد ذلك فقد تقطع جسده بالجدرى[2]

وقال محمد بن نافع الخزاعى تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد فى رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع .

(*) المقتدر : تقدمت ترجمته .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٤٥] .

(٢) المصدر السابق .

رضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء

روى الديلمى عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما مرفوعًا : لا تقوم الساعة حتى ترضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط (١) .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى خلافة الراضى(*) فى ذى القعدة انقضت النجوم سائر الليل انقضاضاً عظيماً ما رئى مثله (٢) .

وقد وقع بعد ذلك كثيراً أن النجوم والشهب انقضت وقتلت ناساً .

○ ○ ○

---

(١) رواه الديلمى .

(*) الراضى : تقدمت ترجمته .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى [ص : ٤٥٤] .

كثرة الموت

روى البخارى عن عوف بن مالك رضى اللّٰه تعالى عنه أن النبى ﷺ قال :« اعدُدْ بين يدى الساعة ستاً : موْتى ، ثم فتح بيت المقدس ، ثم موتَان يأخذ فيكم كقعاص الغنم »[1] .

والموتان : الموت الكثير .

وقعاص الغنم : داء يأخذها فلا تلبث أن تموت .

وهذا وقع فى زمان عمر رضى اللّٰه تعالى عنه سنة ثمان عشرة للهجرة على المشهور فى طاعون عمواس وهى بلدة فى فلسطين على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس .

ثم انتشر فى أرض الشام ، ومات فيه خلق كثير من الصحابة رضى اللّٰه تعالى عنهم ، ومن غيرهم ومن أشهرهم أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح رضى اللّٰه تعالى عنه .

وبعد ذلك فى طاعون الجارف وفى الطواعين والوباءات الواقعة فى أقطار الأرض .

وروى الديلمى وابن عساكر عن على رضى اللّٰه تعالى عنه يأتى على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما يقتل الكلام فيا ليت=

(١) جزء من حديث أخرجه البخارى [٣١٧٦] .

= العلماء فى ذلك الزمان تحامقوا .

وروى أبو نعيم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه : يأتى على العلماء زمان الموت أحب إلى أحدهم من الذهب الأحمر .وقد وقع شىء من قتل العلماء والتضييق عليهم فى زمن المأمون[1] =

(١) المأمون : عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة سبعين ومائة فى ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول . برع فى الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر عُنى بالفلسفة وعلوم الأوائل ، ومهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن . استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه سنة ثمان وتسعين وهو بخراسان ، واكتنى بأبى جعفر . وفى سنة إحدى ومائتين خلع أخاه المؤتمن من العهد وجعل ولى العهد من بعده علىّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، وفى سنة إحدى عشرة أمر المأمون بأن ينادى : برئت الذمة ممن يذكر معاوية بخير ، وأن أفضل الخلق بعد النبى ﷺ علىّ بن أبى طالب .

وفى سنة اثنتى عشرة أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافًا إلى تفضيل علىّ على أبى بكر وعمر ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتتن . وفى سنة ثمان عشرة امتحن الناس بالقول=

= العباسى وأخيه المعتصم(*) .

○ ○ ○

= بخلق القرآن . ومات المأمون يوم الخميس لاثنتى عشرة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة بالبديودون ، من أقصى الروم ، ونقل إلى طرطوس ، فدفن بها .

(*) المعتصم بالله ، أبو إسحاق ، محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة .

قال الذهبى : كان المعتصم من أعظم الخلفاء ، وأهيبهم ، لولا ما شان سُؤْدده بامتحان العلماء بخلق القرآن .

بويع له بالخلافة بعد المأمون فى شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين فسلك ما كان المأمون عليه ، وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن فكتب إلى البلاد بذلك ، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، وقاسى الناس منه مشقة فى ذلك وقتل عليه خلقًا من العلماء وضرب الإمام أحمد بن حنبل ، وكان ضربه فى سنة عشرين .

مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

○ ○ ○